منة العلي

في تعريف الولي

إعـــداد

خلف محمد عبد الرحيم

الكتاب : منة العلى فى تعريف الولى

المؤلف : خلف محمد عبد الرحيم

رقم الطبعة : الأولى

تاريخ الإصدار: جمادى الآخرة ١٤٢٠ هـ - سبتمبر ١٩٩٩م

الناشر : المؤلف

رقم الإيداع : ١٣٤٤١/ ٩٩

الترقيم الدولى : ISBN: 977 - 316 - 028 - 9

مِنَّةُ العَلِيّ

فِي تَعْرِيفِ الوَلِيّ


بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى فقيد الأمة الإسلامية . .

فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى

طيب الله ثـراه

أهدى كتابى هذا إليك وإلى روحك الطاهرة يا فضيلة الأب والشيخ والأستاذ الكبير، وقد ذقت كأس المنية، وتجرعت صبابة الموت لينقلك إلى جميل ثوابك ولتحظى بكريم مقامك إلى جوار ربك، قال تعالى :

﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧].

وذاك الظن منا لما عهدناه عليك من الولاية لله والإقبال على طاعته والجهد لدينه والتفانى بالنفس والمال فى الدعوة والنصح للمسلمين فجزاك الله على ما قدمت أفضل مما رجوت وعلى ما بذلت خيراً مما أخلفت، وأسكنك الله جنات خلده ورزقنا من بعدك التقوى وحسن العمل والإخلاص وجعلنا من الراشدين.

وصلى اللهم على نبينا ورسولنا محمد ﷺ . . .

خلف محمد عبد الرحيم

مُـقَـدِّمــة

إن الحمد لله – الحمد لله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب الفاتح للمستغفرين الأبواب، والميسر للمتوكلين عليه الأسباب، رب الأرباب ومسبب الأسباب ومنشىء السحاب ومنزل الكتاب وخالق خلقه من تراب، يجيب دعاء المضطرين ويغفر ذنوب التائبين وسعت رحمته كل شىء فلا ييأس من روحه إلاالكافرون.

وأشهد أن لا إله إلا الله بكت العيون من خشيته، ووجلت القلوب لعظمته، وذلت الرقاب لعزته وشهدت البريات بوحدانيته، فهو الواحد الأحد وهو الفرد الصمد الذى إذا عذبنا جميعنا فبعدله ، وإذا رحمنا فبفضله، وإذا حفظنا فبعينه، وإذا هانت علينا سكرات الموت فبعونه.

خلق الخلق بعلمه وقدر لهم أقداراً، وضرب لهم آجلاً وعَلِمَ ما هم عاملون به قبل أن يخلقهم ، فأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته وكل شىء يجرى بتقديره ومشيئته، ولا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام، سبحانك لا نحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، لاراد لقضائك، ولا معقب لحكمك ولا غالب لأمرك ولا إله غيرك أشهد أنك أنت الله البر الكريم وأنت الله الرءوف الرحيم، وأن محمداً عبدك ورسولك وحبيبك وخليلك الهادى إلى صراط مستقيم، والداعى إلى دين قويم صلوات ربى عليه وعلى سائر النبيين وآله وسائر الصالحين.

تعريف بهذا الكتاب

هذا الكتاب فضل من الله على، ونافلة منه إلىّ وله الحمد سبحانه على ما وفقنى إليه وأساله أن يتقبله خالصاً لوجهه.

وقد قمت بفضل الله قبل كتابته بمقدمات أسال الله تعالى ألا تغيب عن كل مجتهد من أمة محمد ﷺ يقدم مثل هذا العمل داعياً به إلى الله سبحانه، وهادياً به إلى طريقه المستقيم ودينه القويم ألا وهى:

أولاً: النية: عملاً بقول النبى ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى**» رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما، وقد أطلقوا على هذا الحديث اسم عمدة الأحاديث، لأنه يوضح خالص العبادة، ولأن النية هى أم الأعمال، وكانت نيتى فيه أن يتقبله الله تعالى خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكون سبباً لهداية كل من يطلع عليه ويقرأه سواءً أكان مؤمناً أو عاصياً، وسبباً لجلاء غشاوة القلوب وراحتها وطمأنينتها، وسبباً بإذن الله تعالى لنجاتنا من النيران، والفوز بشهادة الرضوان وأعلى مقامات الجنان عند الواحد الديان.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥].

ثانياً: **الاستخارة**: لحديث جابر – رضى الله عنه – قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة فى الأمور كلها كما كان يعلمنا السورة من القرآن، وذلك تعلمناه أيضاً من علمائنا نقلاً عن رسول الله ﷺ، وأن الاستخارة

تُفَضَّل ان تكون فى كل الأمور كبيرها وصغيرها، وهى ركعتان يركعهما العبد ثم يدعو بالدعاء كما جاء فى بقية حديث جابر – رضى الله عنه – السابق، قال يقول: اى النبى ﷺ إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إنى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا أعلم وانت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر (ويسمى حاجته) خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى (أو قال عاجله وآجله) فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر (ويسمى حاجته) شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى (أو قال عاجله وآجله) فاصرفه عنى واصرفنى عنه ثم اقدر لى الخير، حيث كان ثم ارضنى به ولا حول ولا قوة إلا بالله(١).

ثالثاً: قمت بالجد فى كتابته والدعاء أن يتقبله الله جل وعلا، وأن ييسر له السبل لنشره والعمل بما فيه إنه ولى ذلك والقادر عليه وحده، إلتماساً لحديث رسول الله ﷺ «ما تصدق الناس بصدقة مثل علم يُنشر»(٢).

رابعاً: قمت بتبويب هذا الكتاب واكتفيت فيه ببابين اثنين لكى يسهل على القارئ الكريم حمله وقراءته.

وقسمت هذين البابين إلى عدة فصول:

فالباب الأول: (الولاية) وفصوله خمسة وهم:

---

(١) أخرجه البخارى (١٣ح، ٧٣٩) وأبو داود (٢ح ١٥٣٨)، والترمذى وابن ماجه (١ح١٣٨٣) وأحمد فى مسنده.

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير وغيره وذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب فى كتاب العلم فى الترغيب فى نشر العلم.

١ – أنـواع الـولايـة .

٢ – أسـبـابـهـا .

٣ – شـروطـهـا .

٤ – أسـرارهـا .

٥ – عـلامـاتـهـا .

والباب الثانى : (الولى) وفصوله ستة وهم :

١ – من هو الولى الحقيقى .

٢ – عـلامـاتـه .

٣ – صـفـاتـه .

٤ – أسـرار الأولـيـاء .

٥ – شـروط الـولـى .

٦ – كـرامـات الأولـيـاء .

خامساً : خاتمة الكتاب وفهرسه، سائلاً المولى سبحانه أن يجعل هذا الجهد اليسير طيباً ومباركاً ومقبولاً بإذنه وحوله سبحانه وتعالى وصلى اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد رسول الله ﷺ .

هدفى من وراء هذا الكتاب :

﴿وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ﴾ [هود : ٢٩] .

والذى حملنى على إعداد هذا الكتاب ثلاثة أمور :

الأمر الأول: علمي بأنني ميت وأن الموت يطلبني وأنه لا مفر منه ولا ملاذ عنه ولا شفاعة فيه لقوله سبحانه: ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون** ﴾، وقوله: ﴿ **كل نفس ذائقة الموت** ﴾، فاردت أن أغتنم فرصة من بقية عمرى أقدم فيه قبل أن أفارق الدنيا شيء ولو قليل لديني ولإخواني المسلمين حفظهم الله أجمعين، وأن ينفعني هذا الكتاب بعد موتي، ويلحق بي من عملي وحسناتي في قبري فيكون حجتي عند ربي، وذلك لقول النبي ﷺ: «**إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره وولداً صالحاً تركه ومصحفاً ورثه أو مسجداً بناه أو بيتاً لابن سبيل بناه أو نهراً أجراه أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من[1] بعد موته**» رواه ابن ماجه بإسناد حسن.

الأمر الثاني: ظني في الله تعالى أن يجعل هذا الكتاب برداً وسلاماً على قلوب القُرَّاء، وسبباً لهداية العاصين، ومغفرة للمسيئين، ونبراساً للعارفين، وانيساً للصالحين وكنزاً للمتقين، وذخراً لي ولهم أجمعين يوم الدين.

وأن يهدى به الله تبارك وتعالى كل من يطلع عليه في مشارق الأرض ومغاربها اللهم آمين.

الأمر الثالث: وجدتني في الحقيقة مقصراً جداً في حق ديني وآخرتي، وعلمت أن الدنيا ما هي إلا لعب ولهو: ﴿ **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ** ﴾ [الحديد: ٢٠]، ونظرت في نفسي فوجدتها أمارة، ونظرت في

---

(١) رواه ابن ماجه بإسناد حسن والبيهقي ورواه ابن خزيمة في صحيحه وهو عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ذنوبى فوجدتها كالجبل الأشم كاد أن يقع على فيهلكنى فوقفت بين يدى ربى خاشعاً خاضعاً ضارعاً أناجيه وأقول:

إلهى...

قصدت باب الرجاء والناس قد رقدوا
وبت أشكو إلى مـولاى مـا أجـد
فقلت يا أملى فى كل نائبة
يا من عليه لكشف الضر اعتمد
أشكو إليك اموراً أنت تعلمها
ما لى على حِملها صبرٌ ولا جلدٌ
وقد مددت يدى بالذل مفتقراً
إليك يا خير من مدت إليه يدُ
فلا تردنها يارب خائبة
فبحر جودك يروى كل من يرد

وقد قصدت باب رجائه سبحانه فى العمل يوم امسكت بقلمى وسطرت كتابى هذا راجياً أن يكون خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكون سبباً بإذن الله لفوزى بالجنة والدرجات العلى والفردوس الأعلى.

وأن يجعله المولى سبب نفع لكل المسلمين، وإن كنت أعترف ولا حرج بأننى قد قصرت فى هذا الكتاب فإن الكمال لله وحده، واما نحن معشر

العباد ما علينا إلا الجهد وعلى الله السداد، وعلينا التكلان وعلى الله القبول، اللهم اغفر لى ولوالدى ولجميع المسلمين والمسلمات الأحياء والأموات اللهم اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا، وألف بين قلوب عبادك واهدهم إلى دينك هداية لا مرد بعدها، اللهم ارحمنى ووالدى واجعل الحياة زيادة لنا فى كل خير واجعل الموت راحة لنا من كل شر واحسن خواتمنا.

رب ارحم والدىّ كما ربيانى صغيراً رب إنى أسألك أن تطيل فى أعمارهما وتحسن أعمالهما، رب نسألك حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يقربنا إلى حبك.. وصلى اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبى الصادق الوعد الأمين.

خلف محمد عبد الرحيم

الباب الأول

الـولايــة

من أشـرف أنواع المنازل منزلة الولاية ومـعناها القـربة، وكلمـة ولاية مـشـتـقـة من الولاء، والولاء يعنى القـربة والنصـرة والمحبـة، وقد ابتلينا فى زماننا هذا «بشرذمة قليلين» من الناس أولوا الولاية وفسروها على معانى لا تليق بحقيقة الولاية وتساهلوا فى تفسيرهم لها ولم يضعوها فى موضعها الغالى الحق الذى ينبغى أن تكون عليه، فمنهم من قال: إن الولاية مجرد درجة للإسلام فحسب، ومنهم من تشدد فقال، بل كانت فى الزمن الأول فقط ومنهم من زعم أن الولاية هى درجة رفع التكليف ومؤنة العبادة، ومنهم من ظن أن الولاية مثل العقم والإنجاب، أى غير اختيارية فيقولون: إنه ربما يكون الرجل مواظباً على الطاعات مسارعاً فى القربات سباقاً للخيرات ولا ينالها، ويكون غيره ممن لا يصلى ولا يصوم ولا يحج ولا يفعل شىء من أعمال الإسلام والبر والخير ويكون ولياً لله وينال درجة الولاية لأن الولاية محلها فى قلبه وسر بينه وبين ربه وربما هرولوا إلى مثل هؤلاء الصنف من الناس فتراهم يتبركون بهم ويتمسحون بهم، ويعكفون على قبور بعضهم طلباً منهم جلب نفع أو كشف ضر أو رجاء مصلحة أو دفع مفسدة، وكل ذلك من أعمال الجهل والجاهلية، وهو ليس من الإسلام فى شىء لأن الإسلام دين الحق ودين الإتباع لا يقبل الخرافات والخزعبلات المفترية من صنع الناس أنفسهم وقد نسى هؤلاء الصنف من الناس أن

كلمة ولاية تعنى المتابعة والمعاهدة، أى متابعة الأعمال الصالحات والمعاهدة عليها.

وبالعقل نقول كيف يكون ولياً لله من خالف أمره وضيع فرضه؟ وكيف يكون ولياً لرسوله من حاد عن طريقته ورغب عن سنته؟

وكيف يكون ولياً للمؤمنين من رغب عن سلكهم وحاربهم بجهله وسفهه اللهم فلا ولله در القائل:

عبد الأكثر منهم صالحاً
ونبياً ووليا شهراً

كل قطر عندهم معبودهم
اشركوه بالذى قد فطر

وقبابًا فوقهم قد أسسو
خالفوا المختار فيما حذرا

كم حديث ثابت قد وردا
قد نهى الأمة مما صدرا

وأبو الهياج هذاك التقى
عن على المرتضى قد اخبرا

فمن تمثال مشرف
هدمه يروى وذا قد حررا

وذوو العلم بذاقـــد حكمـــوا

راجع الكتب تجـــد مـــا سطرا

ويبقى لنا أن نسأل ما هى حقيقة الولاية؟ فإن الولاية الحقيقية هى كلمة عظيمة غالية لها مدلولهاوكيانهاوالتفسير الأحق بها فى كتاب الله وفى أحاديث رسول الله ﷺ وقول العلماء الثقات فى ذلك ، فللولاية أنواع وأسباب وشروط وأسرار وعلامات.

الفصل الأول

أنواع الولاية:

الولاية ثلاثة أنواع محمودة، ومذمومة، وولاية ابتلاء.

أولاً المحمودة:

وهي أصفى وأنقى وأعلى وأسمى أنواع الولاية وهي كنز عظيم وخير جسيم وهي نعمة من أجلِّ النعم، وعطية من أغلى العطايا من قبل الله تعالى لعبده بعد نعمة الإسلام. إذ إنها مطية العبد المجنحة تطير به إلى أعلى الدرجات وأسمى القربات إلى رب العباد سبحانه وتعالى، وبها تكون السعادة سعادتين سعادة الدنيا وسعادة الآخرة لقوله سبحانه ﴿ **لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ** ﴾ [يونس: ٦٤]

وهي على ثلاثة ضروب

ولاية الله سبحانه وتعالى، وولاية رسوله ﷺ وولاية المؤمنين، وقد بين لنا ذلك الحق سبحانه في كتابه، وعرفنا حقيقة من نوالي ومن هو أحق بذلك من غيرة، فقال سبحانه في سورة المائدة ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ** ﴾ [المائدة: ٥٥].

وبين لنا المولى سبحانه أيضا ما لهؤلاء الصنف من الناس الذين يتخذون الله ورسوله والذين آمنوا أولياء من دون غيرهم من أعدائهم بأنهم هم المنصورون، وهم الغالبون وهم الناجون من كل كيد، وهم القاهرون

لكل عدو، وذلك نظراً لانهم بولايتهم لربهم وقربهم من رسوله والمؤمنين صاروا من حزب الله، و هل يقهر حزب الله أو يغلب . قال مولنا سبحانه ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ .

[المائدة : ٥٦] .

أولاً ولاية الله :

ما أعظم ان يقال فلان ولى الله وأعظم منه أن يقول الرب سبحانه فلان ولى، وما أشرف وأكرم أن يصل العبد إلى هذه المنزلة الغالية و الدرجة العالية والنعمة الكبيرة الشامخة . فإن ولاية الله عز وجل درجةٌ صعبة المنال لا يؤتاها إلا من اختاره الله واصطفاه ووفقه إليها، وهى نعمة غالية ودرجة عالية وقمة شماء تنخلع الرءوس عند ذراها، وتدمى الأقدام إلى مرتقاها، فمن شمر إليها طاب مسعاه حتى يؤتاها، وحيث إنه كان حتماً على كل عبد ولابد ان يتولى الله جل وعلا ويتخذه دون غيره من خلقه ولياً أولاً فيتبع أوامره وينتهى عن نواهيه، وإلا فَمَنْ يُتَوَلَّى غير الله ومن يُتَّبَع سواه سبحانه ومَنْ غير الله كائن مَنْ كان أحق بالولاية منه سبحانه، وهل هناك من هو أهلاً لذلك، كيف وأن الله عز وجل هو الخالق والمصور وهو المحيى والمميت، وهو الآخذ بالنواصى، وهو الفعال لما يريد، فواجب على كل إنسان ان يتولى ربه الخالق، إذ أنه ليس له من دونه ولياً أولاً أحق بهاوفى ذلك يقول الحق سبحانه ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة : ١٠٧] .

وكلمة ولاية الله ليست كلمة سهلة أو لفظات هينة أو حروف لينة،

وإنما تهدف فى جوهرها إلى غاية سامية، وهمة عالية وليست هذه الغاية وتلك الهمة تأتيان من فراغ، ولكن بعد سعى فى طلبهاوكفاح من أجلها وبيع الغالى والنفيس فى تحصيلها ومكابدة القيام فى الظلمات، والعزف عن لذات الدنيا والشهوات، و بعد كل ذلك الجهد يصبح العبد لم يقدم إلا اليسير من العمل لنيل المراد، وذلك لأن ولاية الله شرف ما بعده شرف، وكرم ما بعده كرم. وذلك أن العبد المتنعم بها دائماً فى حضرة ربه ويسكن فى حصنه ويمتطى طاعته قاصداً وجهه ويلبس لذلك ثياب التقوى، وينتعل بالزهد، ويتعمم بالمعرفة، ويتزين بالورع ويسرع بالخشية. فهو يحيا فى جنة عالية قطوفها دانية. يقطف من ثمرها وينهل من طعامها، ويكرع من أحواضها، و يمرح فى رياضها ويسبح فى أنهارها. فطوبى له وحسن مآب.

فولاية الله تعنى متابعة طاعته واجتناب نهيه على سبيل الديمومة. وولاية الله تقتضى من العبد أن يكون آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر وذلك لتحقيق فضيلة الإيمان الذى به تكون الولاية محققة. فيقول الحق سبحانه ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فمن منطلق هذه الآية الكريمة يتبين لنا أن خيرية هذه الأمة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والإيمان بالله تعالى وكذا. هى فضيلة من فضائل الولى.

ولولاية الله جل وعلا أسباب وشروط وعلامات وأسرار وذلك ما سنبينه فى الفصول التالية إن شاء الله تعالى.

ثانياً: ولاية الرسول ﷺ :-

وولاية الرسول ﷺ من ولاية الله، وهى ولاية واجبة على كل إنسان مسلم بالغ عاقل. ودليل ذلك قول الحق سبحانه فى كتابه على لسان رسول الله ﷺ ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقوله سبحانه ﴿ **قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ٣٢].

فقد أوجبت هذه الآيات الكريمات ولايته ﷺ وليسأل سائل لماذا نوالى رسول الله ﷺ ؟

نجيب على هذا السؤال فنقول: إنه من المعقول والمألوف والمعروف أنه إذا قدم إنسان لآخر معروف ينفعه حفظ الآخر المقدم له ذلك المعروف، ورده إلى من قدمه له بالجميل والحسن، وكان حتماً عليه أن يكون محباً ومطعياً لمن قدم له ذلك المعروف، وهل هناك معروف أعظم وأجل وأكبر من النجاة من النار والفوز بالجنة. فإذا كان العبد يقدم لأخيه معروفاً دنيوياً مادياً عَمَّا قريب سوف يفنى ويبيد حُقَّ بذلك المعروف القليل له حب وطاعة من قدمه له فى الدنيا، فكيف بمن أخذ بالأيدى إلى الجنة، وكان سببا لبعدها عن النار وعذابها وسمومها وحرها وشرها، والإبدال مكانها جنة عالية قطوفها دانية عرضها كعرض السموات والأرض يسرح فيها وينعم كيف شاء لا يفنى نعيمها ولا يأسن ماؤها ولا تفنى أنهارها ولا ينفد ثمرها ولا تموت حورها وهو خالد فيها بإذن الله.

أما كان حقاً على من قُدم له ذلك المعروف ان يكون محباً ومطيعاً ومواليا لمن قدم له ذلك المعروف، فنحن نوالى رسول الله ﷺ لانه كان سبباً بإذن الله تعالى فى هدايتنا، ولانه والى ربه وأحبه وحبيب الحبيب حبيب، ولانه ﷺ سبباً بإذن الله فى نجاتنا من نار الجحيم ومرار أليم وعذاب مقيم.

لانه ﷺ كان سبباً بإذن الله فى نقلنا من الجهل إلى العلم، ومن الظلمة إلى النور، ومن البغى إلى الطاعة، ومن الفجور إلى ا لاستقامة ، ومن الظلم إلى العدل، ومن الباطل إلى الحق. فنحن نوالى رسول الله ﷺ لذلك أما ترى كيف مدحه ربه فى كتابه ووصف حبه لأمته ورحمته ورأفته بها فقال سبحانه ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة : ١٢٨]. فكفى بهذه الآية الكريمة سببا ودليلاً لمحبة وموالاة هذا الرسول الرءوف الرحيم بأمته الحريص على إيمانها ودخولها الجنة رسول يعز عليه عنت وتعب ومشقة أمته فى كل الأمور وفى الحروب والقتال والصبر على تمكين دين الله الحق سبحانه فى الأرض أن تتخذه حبيباً وتواليه وتطيع أمره وتنتهى عن نهيه، فتكون بذلك قد قابلت الحسنة بالحسنة والمعروف بالمعروف.

وقد جاء فى تفسير الآية السابق ذكرها للصابونى : «أى لقد جاءكم أيها القوم رسول عظيم القدر من جنسكم، عربى قرشى يبلغكم رسالة ربكم. عزيز عليه ما عنتم أى يشق عليه عنتكم وهو المشقة ولقاء المكروه، حريص عليكم أى حريص على هدايتكم ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أى رءوف بالمؤمنين، رحيم بالمذنبين، شديد الشفقة والرحمة عليهم، وقال

ابن عباس: قد سماه الله تعالى باسمين من أسمائه وهما ﴿ رءوف رحيم ﴾[1].

وكان حق على أمة كان هذا رسولها موالاته وإتباعه، بل وبيع الغالى والنفيس من أجل طاعته وطاعة من يرتضى لنا طاعته.

ثالثاً: ولاية المؤمنين

وهذا النوع من الولاية نوع محمود وبه تكمل دائرة الخير فى الولاية والاتباع والمحبة والنصرة، وبه يصبح المؤمن أهلاً للخير جهداً فى الإقدام عليه، وهى نوع واجب على كل تقى، وتجب على المؤمنين بعضهم لبعض، أن يكونوا أولياء وأن يكون المؤمنون أخوة متحابين متعاطفين متقاربين متراحمين متباذلين متواصلين متحدين كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، كما علمنا ذلك نبينا ﷺ وأن يكون المؤمنون متنافسين فى الطاعات، متسارعين فى الخيرات فإن من كان هذا حاله وتلك صفاته استحق بفضل الله تعالى أن ينال وسام الشرف الربانى من قبل الحق سبحانه بأن يصبح واحداً ممن ذكرهم الله فى كتابه، وخصهم بالذكر وشرفهم بذلك حيث قال سبحانه [التوبة: ٧١].

وقد جاء فى تفسير هذه الآية[2]. أى هم إخوة فى الدين يتناصرون ويتعاضدون. وقد قال العلماء فى هذه الآية: إن أولياء الله تجب موالاتهم وتحرم معاداتهم وأعداء الله تجب معاداتهم وتحرم موالاتهم.

---

(١) راجع صفوة التفاسير للصابونى فى تفسير سورة التوبة آية (١٢٨).

(٢) راجع صفوة التفاسير للصابونى التوبة آية (٧١).

ثانياً: الولاية المذمومة

وهى شقان: ولاية دعوة، وولاية قربة (أى وساطة)

وكلاهما أشد قبحاً من الآخر وكل نوع منهما شر من الآخر منقلباً وشر عاقبة أعاذنا الله منهما وليحذر كل فطن أريب أن يقع فى دائرة إحداهما السوداء فتهوى به إلى أسفل السافلين.

أولاً ولاية الدعوة:

ومعناها العبادة وهى نوع قبيح المقصد فاسد العقيدة سىء العاقبة، والمقصود بالدعوة أى العبادة مثل دعوة الأصنام من دون الله والشمس والقمر والنجوم ودعوة العباد من دون الله من الإنس والجن ونحوه.

وحكم معتنق وصاحب هذا النوع من الولاية كافر ضال عن سبيل الله وفاسق وفاجر بإجماع الأمة ودليل ذلك من الكتاب والسنة.

أما الكتاب فقول الحق سبحانه: ﴿ **وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ** ﴾[المؤمنين: ١١٧]

وقوله سبحانه ينهى نبيه وأمته ويأمره بالبراء من هؤلاء الصنف من التعساء قوله سبحانه: ﴿ **قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قُل لاَّ أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ** ﴾ [الانعام: ٥٦]. وجاء فى تفسيرها للصابونى «قل إنى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله»

أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين إنى نهيت أن أعبد هذه الاصنام التى زعمتموها وعبدتموها من دون الله. «قل لا اتبع أهوائكم» أى فى عبادة غير الله. وفيه تشبيه على سبب ضلالهم، فما هو ذلك التشبيه؟ الا وهو قوله ﴿قد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين﴾ أى قد ضللت إذا اتبعت أهواءكم ولا أكون فى زمرة المهتدين. فمن خلال هذه الآية الكريمة يتبين لنا أن الدعوة فى هذا المقام يقصد بها العبادةلغير الله.

وقد أجمع المفسرون على ان كلمة دعوة أو أدعو تعنى أعبد عبادة، وقد جاء ذلك موضحاً ومبيناً فى سورة مريم فى الآيتين« ٤٨, ٤٩ » يقول الحق سبحانه على لسان نبيه وخليله إبراهيم : ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤٨، ٤٩] ففى الآية الاولى قال: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾، وفى الثانية قال: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ إذاً فكلمة دعوة تساوى كلمة عباده وجاء فى الحديث عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال (الدعاء هو العبادة)[1]. وقد تحدث المولى سبحانه فى كثير من مواضع القرآن الكريم عن هذه العبادة المقصودة بكلمة دعوة ناهياً ومحذراً من إتباعها فمثلاً قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦] وقوله سبحانه أيضاً مرهباً ومحذراً

(١) الحديث أخرجه ابو داود (صح ١٤٧٩) والترمذى (٥ح ٢٨٧٧) وابن ماجه (٢ح٣٨٢٨) وابن حيان وأحمد وسنده (٤ ح٢٧١) وابو نعيم فى الحلية واسناده صحيح.

منها ﴿ **ومن يدع مع الله إلهاً آخراً لا برهان له به** ﴾ أى ومن يعبد مع الله إله آخر لا حجة معه فى عبادته ﴿ **فإنما حسابه عند ربه** ﴾ أى جزاءه وعقابه عند ربه وسماهم المولى كافرين لأن الذى يعبد غير الله مع الله فقد كفر بالله تعالى؛ لذلك قال الحق سبحانه: ﴿ **إنه لا يفلح الكافرون** ﴾ وبين لنا المولى سبحانه أيضاً أن هذا النوع من الولاية نوعٌ فاسد وقبيح وأهله أهل ضلال وهم على باطل، وهم بباطلهم هذا وضلالهم وعبادتهم المزعومة أهل ضلال لا يفقهون ولا يعقلون لا يبصرون ولا يسمعون ولو كانوا يفقهون أو يعقلون أو يبصرون أو يسمعون. لفكروا بعقولهم ولو لمرة واحدة فى هؤلاء الذين يعبدونهم من دون الله هل يملكون لهم دفع ضرٍ أو جلب نفع كيف وهم لا يستطيعون أن يفعلوا ذلك لأنفسهم فكيف لغيرهم فأين ذهبت العقول المتذكرة، وأين ذهبت العيون المبصرة لأن حقيقة الإبصار فى رؤية الحق حقاً واتباعه، ورؤية الباطل باطلاً واجتنابه فأين ذهبت العيون المبصرة؟ وأين ذهبت الأسماع المنصتة؟ حتى يتيقن أصحابها بأنهم على باطل وعبادتهم مزيفة لذلك قال الله سبحانه معجزاً لهؤلاء السفهاء: ﴿ **قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً** ﴾ [الإسراء: ٥٦] وفى سورة النحل قال موبخاً لهم ﴿ **وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئًا وَلا يَسْتَطِيعُونَ** ﴾ [سورة النحل: ٧٣] وخرج أبو وهب عن عبدالله بن عمر قال: «من كان يزعم أن مع الله قاضياً أو رازقاً أو يملك لنفسه ضراً أو نفعاً أو موتاً أو نشوراً لقى الله فادحض حجته، وأخرس لسانه وجعل صلاته هباءاً منشورا وقطع به الأسباب وكبه فى النار على وجهه».

فهذا كله جزاء لمن زعم على سبيل الظن لأن ظنه هذا صار شركاً عظيما لا يغفره الله إلا إذا شاء سبحانه لقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨] وفي أخرى ﴿ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١١٦].

وفي سورة سبأ تحدياً آخر من المولى سبحانه لهؤلاء الملتبس عليهم بالضلالة ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ [سبأ: ٢٢].

وكان الله تبارك وتعالى يقول لهم انظروا إلى آلهتكم الذين دعوتموهم من دون الله ارتضيتم لعقولكم بعبادتهم وعطلتموها عن التفكير والتمييز، وعطلتم جانب العبرة والعظة في ما ترون من ضعفكم وضعفهم فأى عقل هذا منكم الذى وافقكم في عبادة الضعفاء العجازى الذين لا يملكون كشف ضر أو جلب نفع ولا يملكون بطشاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ولا شيء أبداً فادعوهم كيفما شئتم وأرونى بعد ذلك ماذا يستطيعون أن يقدموا لكم من شيء، بل قد وصل بكم السفه والغباء والحماقة إلى أنكم تركتم عبادة الخالق سبحانه وأنتم تعترفون بأنه الرب الخالق وحده واتجهتم بالدعوة والعبادة إلى مخلوق ضعيف، ذليل فقير حقير مثلكم بل أقل منكم لا يخلق شيئاً، ولا يملك شيئاً وقال سبحانه: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا ﴾ [الأحقاف: ٤] فَمَنْ أحق أيها الجهال المفترين بالدعوة والعبادة الخالق العزيز أم المخلوق الذليل الغنى القوى أم

الفقير الضعيف؟

فإن الناظر إلى هذه الآيات الكريمات يجد أنها تبين فضائح وجهل وقمة غباء وحقارة هؤلاء الصنف من الناس الذين اعتقدوا بولاية الدعوة لغير الله. فقادهم اعتقادهم لغير الله هذا المشئوم الفاسد المذموم إلى الخزى فى الدنيا والحسرة والندامة فى الآخرة وغضب رب العالمين عليهم ولعنته إياهم، أعاذنا الله. ولله در القائل:

تدعون غير الله ذى الجلال … فى جلب نفع أو لدفع ضر
وبرئ سقم وارتفاع شر … من ليس يغنى نفسه من ضرها
ومن لم يطق إنقاذها من فقرها … وتستمدون من الأموات
تيسير عسر وقضا الحاجات … ألم تروا أن الدعاء عبادة
لا يمترى فيه ذوو الشهادة … فمن دعا غير الإله أحدا
ليمنحه الخير أو يكفيه الردى … فإنه لمن دعاه عابد
سواء الجاهل والمعاند … وفى ثبوت النهى فى الكتاب
دلائل لمبتغى الصواب … يكفيك أن الله قال ادعونى
كمثل ما قد قال … فاعبدونى

ثانياً: ولاية القربى: (الوساطة)

وهى نوع مذموم مردود على صاحبه، وداء عضال وجهل بالحقيقة إذ أنه

ليست هناك واسطة بين الخالق سبحانه والمخلوق إلا فى تبليغ ما أنزل عليهم من تشريع وهدى وإنذار وتكليف وقد زعم بعض الملتبس عليهم من الناس أنه إن لم يتخذ فى دعوته لكشف ضُرٍ أو لجلب نفع واسطة بينه وبين الله فى أن يتخذ فى دعوته نبياً أو ملكاً أو ولياً أو شجراً أو حجراً ونحوه كواسطة بينه وبين الله فى دعوته لم تصح دعوته. وهذه عقيدة فاسدة لانها عقيدة المشركين المارقين، وعقيدة عبدة الأصنام لانهم ما عبدوها إلا من هذا القبيل كانوا يتمسحون بهاويتبركون رجاء أن تنفع أو تدفع ضر ونحوه، وإذا ما سئلوا عن ذلك أجابوا على الفور أنهم يفعلون ذلك فى عبادتهم إياهم ليكونوا وسطاء إلى الله ومقربيهم له، وفى ذلك يقول الحق سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا من دُونه أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّه زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيه يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزمر:٣] ولانه لم يتقرر فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله ﷺ الوساطة فى الدعوة بل ما تقرر عكس ذلك تماماً ففى قوله سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة:١٨٦] فيها إفادة بأنه ليست فى دعوة الله وساطة لكن الوساطة تكون فى الأمور التشريعية والحياتية فقط أما فى الدعوة فهى مرفوعة ولا ينبغى أن تتخذ مثل هذه الواسطة دعوة إلى الله وفاعلها آثم بل مشرك والعياذ بالله.

ففى كل الأمور التشريعية العملية قال المولى لنبيه ﷺ فى كتابه فى كثير من مواضع القرآن الكريم عن إجابته للسائلين عن المسائل التشريعية قال له قل: مثل يسالونك (عن الخمر والميسر قال قل) ويسالونك عن

المحيض قال له قل: ويسألونك عن الانفال قال قل: ويسألونك عن الاهلة قال قل، وكل هذه أمور تشريعية وتكليفية وعملية تحتاج فى تعلمها إلى مصدر وثيق، فجعل الله فى مثل هذه الأمور التشريعية والعملية والفقهية واسطة بينه وبين خلقه -وهو نبيه محمد ﷺ- ولكن فى الدعاء والدعوة لم يجعل هذه الواسطة لأن الله سبحانه أقرب إلى خلقه منهم لأنفسهم ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور وأنه سبحانه قريب مجيب كما أخبر فى كتابه فقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦] لم يقل وإذا سألك عبادى عنى قل إنى قريب بل قال فإنى قريب لأن الواسطة مهما كانت لا تستطيع أن تعمل فى هذا المجال الربانى وقال سبحانه أيضاً: ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

لم يقل سبحانه ادعوا أنبيائى ولا ادعوا ملائكتى ولا ادعوا أوليائى ولا ادعوا الصالحين والمقربين واستجلبوا منهم النفع ودفع الضر فيطلبون منى ذلك إليكم ويسألوننى إياه فأستجيب لهم، ولكن الله سبحانه أراد أن يُعلم عباده درساً عظيماً كريماً ألا وهو أن الله سبحانه منهم قريب ومجيب وهو أقرب ما يكون من المخلصين وهو أرحم وأحن وأكرم على العبد من الأم بولدها، فلم يرض سبحانه لعباده الذل لغيره فى مطلب النفع أو فى كشف الضر، إنما جعل ذلك منه إلى داعيه مباشرة من غير واسطة، وهو سبحانه يحب العبد الملحاح فى الدعاء أى الذى يلح على الله فى دعائه ويكثر، وهو يحب أن يلجأ عباده إليه وحده دون غيره فى مثل هذه الأمور ولكن الذى يذهب إلى غيره من نبى أو ولى أو يطلب الكشف أو

الدفع أو الجلب من ميت أو حجر أو شجر ونحوه فالله يغضب عليه لأنه قصد غيره وظن أنه يستطيع أو يقدر أن يفعل شيئًا من هذه الأمور، ولذلك ورد فى الحديث أخرجه الترمذى وابن ماجه قال ﷺ: «من لم يسأل الله يغضب عليه»(١) وقوله سبحانه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢] إعجاز لكل المخلوقات أن تقدر على ذلك سواه فهو وحده يستطيع فعل ذلك فهل يقدر المدعو من دونه بقصد ذلك فعل شىء ولو دقيق فى كشف السوء أو جلب النفع، أو من الذى يقدر على ذلك كله؟ فاعلموا ذلك يا أولوا الألباب واعقلوه جيدا.

وورد عن النبى ﷺ أنه قال: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة» فمن خلال هذه الآيات الكريمات القرآنية والأحاديث النبوية يتبين لنا أنه لا وساطة بين الخلق والخالق فى الدعوة، أما فى التوسل فقد قال العلماء فيه أنه لم يثبت التوسل عن الأنبياء بعضهم ببعض ولم يثبت عن الصحابة بالرسول بعد موته ونحن نقول هذا الكلام بالحجة والدليل للذين يذهبون إلى الأموات فى أضرحتهم وفى قبورهم ويتوسلون بهم نقول: إنه لم يثبت ذلك وهو أمرٌ ظاهره الابتداع وليس من الإسلام الصحيح وقد قسم العلماء التوسل إلى قسمين: قسم مشروع، وقسم ممنوع، والمشروع قسمان:

١- التوسل بالإيمان بالله وبرسوله وبالأعمال الصالحات ولم يقع فى هذا خلاف فهو جائز أن يتوسل الإنسان لله فى دفع ضر أو لجلب نفع بإيمانه بالله أو بإيمانه برسوله وملائكته أو بعمل صالح فيقول مثلاً:

(١) أخرجه الترمذى وابن ماجه وصححه الألبانى فى السلسلة.

اللهم إنى أتوسل إليك بانى أشهد أن لا إله إلا أنت وبإيمانه. وبرسوله فيقول: وإنى أشهد أن محمداً عبدك ورسولك ويتوسل بالأعمال الصالحة فيقول: وبأنى أعبدك وحدك لا أشرك بك شيئاً أو يذكر نوعًا من العبادة فهو جائز مثل أنه تصدق أو صام أو فعل خيراً سراً أو جهراً له أن يذكر هذا الخير. وذلك ثبت أيضاً عن النبى ﷺ فى حديث الثلاثة الذين دخلوا الغار فانحدرت عليهم صخرة عظيمة فسدت عليهم الغار فقالوا: إنه لن ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم وبالفعل دعا كل واحد منهم بعمل صالح كان قد عمله لله فاستجاب لهم الله فانفلقت الصخرة وخرجوا يمشون ».

٢- القسم الثانى من المشروع وهو التوسل بالنبى حياً وذلك كان فى عهده ﷺ أما الآن بعد موته لا يجوز التوسل به ميتاً ﷺ وقد أجاز العلماء التوسل بالرجل الصالح حياً مثل أن يقول اللهم إنى أتوسل إليك بحق حبك لفلان العبد الصالح أن تفعل كذا كما فعل عمر بن الخطاب بالعباس عم رسول الله ﷺ عندما أجدبوا وصلى صلاة الاستسقاء وقال اللهم إنا كنا إذا أجدبنا سألناك بنبيك أن تسقنا والآن نسألك بعم نبينا العباس.

القسم الثانى: الممنوع :-

وهو التوسل بالأموات ولو كان النبى نفسه ﷺ فلا يجوز التوسل به ميتاً، والوارد الجائز التوسل به حياً ودليل ذلك أنه ﷺ جاء من يتوسل به

فى أن يدعو له ودعا له كمثل عكاشة بن محصن عندما قال يا رسول الله ادعو الله أن يجعلنى منهم – أى من السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب – فقال: أنت منهم. والأعرابى الذى طلب من الرسول ﷺ أن يستقى لهم. والأعمى طلب أن يرد عليه بصره فرده والمرأة السوداء التى كانت تصرع وتتكشف فسألت النبى ﷺ أن يدعو لها فقال لها: إن شئتى دعوتُ الله فشفاكى وإن شئتى صبرتى ولك الجنة قالت أصبر ولى الجنة، ولكنى أتكشف فادعو الله الا أتكشف فدعا لها فما تكشفت بعد. وهذا النوع قد انقطع بموته ﷺ.

والدليل الآخر على حرمة التوسل به ميتٌ أنه بعد موت أبى بكر وفى خلافة عمر بن الخطاب انقطع المطر، وأراد عمر أن يستسقى وطلب من العباس عم رسول الله أن يدعو لهم، وقال اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقنا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فقال قم يا عباس فادع الله لناوذلك رواه البخارى فى الصحيح وذلك دليل أكيد على حرمة التوسل به ميتاً، ولو كان ذلك جائزٌ أو صحيحٌ لفعله عمر وتوسل ولفعله من قبله ومن كان بعده وتوسلوا بنبينا ميتاً، ولكن نظراً لانه غير جائز وغير مشروع فلم يفعلوه.

النوع الثالث: ولاية الابتلاء

وهى ولاية الحكم والسلطة والخلافة فى الأرض وهى إما أن تكون محمودة، وإما تكون مذمومة.. فتكون محمودة إذا رشد الولى فى ولايته، وعدل فى حكمه واتقى مولاه فى ولايته وسعى بها إلى رضاه ولم يخش فى ذلك لومة لائم .. وهذا النوع من الولاية أطلقت عليها اسم ولاية

الابتلاء لانها حقاً بلاء عظيم الخطر، فهى مسئولية تلقى على عاتق صاحبهاويحملها بثقلها لينظر الله ماذا يصنع فيها هل يتقى مولاه ويراقبه، أم يغره ملكه وتغره ولايته ويغره حكمه وأمره ونهيه فيتكبر ويتجبر وفى ذلك يقول المصطفى ﷺ :«أن الدنيا حلوة خضرة وأن الله تعالى مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون؟ فاتقوا الدنيا واتقوا النساء»[١] وهذا الحديث يبين لنا درساً عظيماً فلو نظرنا إلى قوله «فينظر كيف تعملون» اى يضعكم فى موضع اختبار وابتلاء، فمن أصاب فيما اختبر فيه واحسن الصبر وحفظ الله تعالى فيما ولاه إياه فاز ونال أعلى الدرجات، ومن كانت له الثانية والعياذ بالله فقد خسر خسراناً مبيناً وولاية الابتلاء هذه سميتها ابتلاء لانها بها يكون العبد خليفة الله فى أرضه على عباده يفعل مع عباد الله بالأمر والنهى فيجب عليه أن يتفانى فى ان يكون حريصاً على أهلية ما ولاه الله فيكون حريصاً على رعاية وكفاية من سلط عليه وإلا إذا جاع أحدهم أو عرى أو ظلم ولم يجد من ينصفه أو يسد جوعته أو يقضى حاجته كان ذلك حسرة على واليه وهذا النوع ابتلاءه شديد وخطره يسير على صاحبه سواءً كان عادلاً أو ظالماً أو تقياً أو جائراً لانه إن كان عادلاً فلن يهنأ له العيش ولن يرتاح له بال خشية أن يكون من بين رعيته مظلوماً أو محتاجاً عسر عليه سد حاجته فيدعو على واليه فتستجاب دعوته أو يشكوه إلى الله فتستجاب شكواه وينتصر له لان دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب وقال لها الله حالفاً بعزته وجلاله «وعزتى وجلالى لانصرنك ولو بعد حين»[٢].

(١) ذكره النووى فى رياض الصالحين ص «١٧٥ح ٤٦٣»

(٢) اخرجه مسلم (٤ح٩٩) والترمذى وابن ماجة واحمد فى مسنده والبيهقى فى المسند «٧ح٣٦٩»

وذكر الإمام الذهبى فى الكبائر «إن دعوة المظلوم لترفع فوق الغمام ويقول الرب تبارك وتعالى «وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين» ولله در القائل:

توق دعـا المظلوم إن دعـائه ليـرفع فـوق السحب ثم يجاب
توق دعـا من ليس بين دعـائه وبين إله العـالمين حـجـاب
ولا تحـسبن الله مطرحـاً له ولا أنه يخـفى عليـه خطاب
فـقـد صح أن الله قـال وعـزتى لأنصـر المظلوم وهو مـثـاب
فمن لم يصدق ذا الحديث فإنه جـهـول وإلا عـقله فـمـصـاب

وقد أوصى النبى ﷺ معاذ حين بعثه إلى اليمن قائلاً: «واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»(١) رواه البخارى ومسلم، وإن كان ظالماً وجائراً فإن بليته ومصيبته أشد وأعظم، إذا أنه فى بلاء وهو لا يشعر فإن ألم من يشعر بالجراح يهون من آلامه شيئاً عمن تنزف جراحه ولا ترقأ دمائها وهو لا يشعر، وكفاه على ما هو عليه من غفلة قلبه وجهله بالخطر الذى هو عليه والعاقبة التى تنتظره مصيبة وبلية فيصير يتخبط حتى تعاجله منيته فيكشف حين ذاك عن غطائه ويصير بصره حديد ﴿ لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [ق:٢٢] فيا ويله ويا حسرته ويا ندامته حيث يقتله الندم ثم لا ينفعه

(١) رواه البخارى ومسلم والنسائى عن حديث عائشة وذكره الذهبى فى الكبائر ص (١٠٤ح٥)

وكـذا الخـزى وإنه لأحـرى بنا فى هذا المقـام أن نـكشـف عن جـم خطرهذا النوع من الولاية فـإن الذى يعـرف خطره لا يطلبـه وإن عـرض عليـه كـرهه وهذه أمثله للرجـال العـقـلاء الذين فـهـموا حـقـيـقـة الخطر الذى فى هذه الولاية.

فهـذا أبو بكر الصـديق رضى الله عنه وهو الذى مـدحـه رسـول الله ﷺ وقال عنه لو وضع إيمان الامة فى كفة وإيمان أبى بكر فى كفة لرجح إيمان أبى بكر وزكاه فقال: لو كنت متخذاً من العباد خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صحبة وإخاء حتى يجمع الله بيننا عنده»[1]. وهو الذى شرفه ربه فى أن أنزل فى حقـه قـرآناً يتلى إلى يوم القـيـامـة إذ قـال: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] وهو الذى أرسل له الله سـبـحـانه رسـالة من السـمـاء وذلك أعلى أنواع التشريف والتكريم مع جبريل عليه السلام ان قل لمحمد قل: لأبى بكر إن الله قد رضى عنك فهل أنت راض عن الله؟. فما لبث أن بكى حتى ابتلت لحيتـه وقـال: أنا عن ربى راض أنا عن ربى راض ثـم قـال: والله له كـانت إحـدى قـدمـاى فى الجنة والأخـرى خـارجـهـا لا آمن مكر الله. ومع ذلك الخوف والحب والكرم كله والتشريف عندما تولى الخلافة على المسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ وقف فيهم على المنبر خطيباً فتكلم فحمد الله واثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أما بعد أيها الناس فإنى قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت، فأعينونى، وإن أسأت فقومونى، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوى عندى حتى أريح عليه حقه

(١) سيرة ابن هشام (ج ٣ ٤٠ تراث ص ٦٥٠).

إن شاء الله، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله. لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ولا تشيع الفاحشة فى قوم إلا عمهم بالبلاء أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم وقوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله. (١)

ومن عظيم خطر هذا النوع من الولاية ما ذكره أبو الفرج بن الجوزى رحمه الله (وقال عمر لأبى ذر رضى الله عنهما حدثنى بحديث سمعته من رسول الله ﷺ قال سمعته يقول: «يجاء بالوالى يوم القيامة فينبذ به على جسر جهنم فيرتج به الجسر ارتجاجة لا يبقى منه مفصل إلا زال عن مكانه فإن كان مطيعاً لله فى عمله مضى فيه، وإن كان عاصياً لله عز وجل انحرف به الجسر فهوى به فى جهنم مقدار خمسين عاماً، فقال عمر: من يطلب العمل بعد هذا يا أبا ذر؟ قال: من سلت الله أنفه والصق خده بالتراب». (٢)

ومن الترهيب الشديد من خطره ما ذكرة الغيلانى وأبو طالب المكى قال: «عن أبى هريرة رضى الله قال: قال رسول الله ﷺ «ما من أمير عشرة إلا يؤتى يوم القيامة حتى يفكه الله بعدله أو يوبقه بجرمه»(٣)

وهذا النوع من الولاية كى يكون محموداً فلا بد له من شروط نذكر منها:

---

(١) ابن هشام فى السيرة (ص ٦٦١، ج٣)

(٢) ذكر القرطبى فى التذكرة ص ٣٤٧ فى باب الولاة، وقال ذكره أبو الفرج بن الجوزى رحمه الله.

(٣) ذكره القرطبى فى التذكرة ص ١٤٦ فى باب الولاة وذكره أبو طالب العنلانى.

١ - الكراهية له وعدم طلبه والحرص عليه والتواضع لله فى عبادته إن أخذه والحريص عليه والمحب له والطالب له لا محالة مفتون قلبه ولو ولى الحكم مفتوناً بظلم وتجبر وتكبر وأغراه سلطانه وأمره ونهيه فينسى نفسه أنه عبد حقير فقير إلى الله وتسول له نفسه وشيطانه أنه الآمر الناهى بأمره ونهيه فيكون ذلك سبباً لخروجه عن شرع الله بفتنته هذه ﴿ **والفتنة أشد من القتل** ﴾ كما أخبر الله فى كتابه.

وقد كان النبى ﷺ ومن بعده الخلفاء الراشدين لا يولون المناصب والحكم لمن يطلبها لعلمهم بافتتان قلبه وعدم معرفته بخطره وجهله لسوء عاقبته. فعن أبى موسى الأشعرى - رضى الله عنه - قال: « دخلت على النبى ﷺ أنا ورجلان من بنى عمى فقال أحدهما: يارسول الله أمّرنا على بعض ما ولاك الله عز وجل. وقال الآخر مثل ذلك فقال: « إنا والله لا نولى هذا العمل أحداً سأله أو أحداً حرص عليه »(١) لعلمه ﷺ أن الحريص مفتون، وأن الكاره حتماً يعرف خطره الجسيم وكربه العظيم لذلك هو يخاف من فتنته وسوء منقلبه؛ ولأن أول ما يعرض على صاحب المنصب من الفتن فتنة (الهوى) اتباع الهوى وذلك الهوى قمة الغرور وشر الفتنة لأنه يجر خلفه كل بلية لصاحبه فيضله عن سبيل الله، وينسيه يوم الحساب، ويصده عن طريق الصلاح والخير، ويلقى به إلى طريق الشر والظلم والعياذ بالله؛ لذلك فإن الله جل وعلا قد بين لنا ذلك فى كتابه فإنه سبحانه يحذر من اتباع الهوى نبياً من أنبيائه قد ولاه فى الأرض

---

(١) أخرجه البخارى فى الفتح (١٣ / ح ٧١٩٨) والنسائى وأحمد فى مسنده (٣ / ح ٩١) وذكره النووى فى رياض الصالحين ص (٢٣٨ / ح ٦٨٥).

واستخلفه فيها على عباده وهو نبى الله داود قال سبحانه : ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ [ص: ٢٦] فذكر سبحانه فى وصيته لخليفته ونبيه داود أن اتباع الهوى أولاً : يضلل العبد عن سبيل الله، وثانياً : ينسيه يوم الحساب. ويكون ذلك سبب فى عذابه الشديد يوم الحساب.

وذكر القرطبى قال : وروى الأئمة عن أبى حميد الساعدى عن النبى ﷺ أنه استعمل رجلاً من بنى أسد يقال له ابن اللتيبة على الصدقة فجاء فقال : هذا لكم، وهذا أهدى لى فقام النبى ﷺ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال : «ما بال العامل نبعثه فيجيئ فيقول هذا لكم وهذا أهدى لى أفلا يجلس فى بيت أبيه وأمه فينظر أيهدى إليه أم لا، . . . يأتى أحدكم بشيء من ذلك إلا جاء يوم القيامة إن كان بعيراً فله رغاء وإن كان بقرة فلها خوار أو شاة تيعر» ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتا إبطيه ثم قال : اللهم هل بلغت. . اللهم هل بلغت[1].

---

(١) رواه الأئمة عن أبى حميد الساعدى.

الفصل الثانى

أسباب الولاية

من حكمة الله تعالى أنه جعل لكل شيء سبباً، وذلك آية منه ليتوكل عليه القاصدين من عباده ويقول الله عز وجل: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق: ٣] أى كافيه، كما قال المفسرون فلابد من التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب، فنحن مطالبون بها، أما النتائج فهى على الله، فإن كل القوى بأسرها تعجز أمام قوة الله فى تحقيق هذه النتائج ونظراً لما سبق ذكره فى الأخذ بالأسباب فإن درجة الولاية درجة عالية الفضل، ولكى يتحصل عليها الإنسان فلابد أن يتخذ لتحصيلها أسبابا فهى درجة عالية وقمة شماء صعبة المنال لا يؤتاها إلا من وفقه الله إليها لذلك فهى أجدر الأشياء فى مقصدها بالتوكل على الله مع الأخذ بالأسباب وأسباب الولاية هى:

١- التغيير من حال إلى حال لقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١] فيغير العبد حاله السيء الذى لا يرضى ربه ولاترضى عنه فطرته التى فطره الله عليها من حال الغفلة والقساوة والجفاء والتكبر والتجبر والعجب والخيلاء والفخر والرياء.. وهلم جرا فيبدأ بالتوبة والإقلاع عن الذنوب كبيرها وصغيرها ما استطاع لذلك سبيلاً يقول عز من قائل :﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

٢- طاعة الله فيما أمر والانتهاء عما نهى لقوله سبحانه : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ

وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا ﴾ [المائدة :٩٢] وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] فمن خلال هذه الآيات يتبين لنا أن طاعة الله مفروضة على كل إنسان والحرص عليها واجب .

٣- الإتباع وهو إتباع النبى ﷺ فيما جاءنا به والحرص عليه والتمسك به لان فيه الهداية والبعد عن شرور الضلالة لقوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [الحشرة :٧] وقوله ﷺ : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً كتاب الله وسنتى » وقوله سبحانه على لسانه : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِى وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِىِّ الأُمِّىِّ الَّذِى يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الاعراف : ١٤٨] وقوله :﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء :٨٠] .

٤- الاقتداء بالصحابة والسلف الصالح والتشبه بهم لأن فى الاقتداء بهم والتشبه الهداية وسلوك طريق الحق سبحانه والعزو بعيداً عن طريق البدعة والضلالة والانحرافات المستحدثة فى دين الله عز وجل وفى ذلك يقول المصطفى عليه السلام :« عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ » النواجذ يعنى الاضراس »[1] .

---

(١) أخرجه ابو داود (٤ ج ٤٦٠٧) والترمذى (٥ ج٢٦٧٦) واحمد فى مسنده (٤ /١٢٦/ ١٢٧) والنووى فى رياض الصالحين (ص ٧٦/ ج ١٦٠) باب المحافظة على السنة .

٥- التفقه فى الدين عن طريق التعلم لقوله : « إنما العلم بالتعلم » ولقوله ﷺ : « من يرد الله به خير يفقه فى الدين » وقول الحق سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر : ٢٨] وقد جاء فى الزهد لأحمد عن الاسود بن يزيد عن عبد الله قال : لو أن أهل العلم صانوا علمهم ووضعوه عند أهله لسادوا به أهل زمانهم .

٦- الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة لأن الداعى إلى الله بدعوته يترقى إلى منزلة الولاية بإذن الله تعالى وهى واجبة على كل مسلم بشرط أن يتعلم ويعى ما يبلغه للناس، لقول النبى ﷺ : فى الحديث « نضر الله امرئ سمع مقالتى فواعاها ثم بلغها للناس فرب مبلغ أوعى من سامع » أو كما قال ﷺ ولقول الله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة : ١٢٢] .

الفصل الثالث

شروط الولاية

في هذا الفصل أردت بفضل الله تعالى أن أضع النقاط على حروفها أتحدث ولا حرج عن شروط أعظم عطية وأغلى منة يمنها الله تعالى على عباده وهي منة الولاية التي ما من عبد رزقه الله هذه المنة الغالية والنعمة السامية إلاوقد أوتي الخير كل الخير، وليس على ظهر البسيطة كائن مَنْ كان أسعد منه مخلوقاً ولا أنعم منه نفساً ولا أفلح منه عاقبة إذ أنه بفضل مولاه عليه قد أُختْيرَ من بين جموع خلق الله تعالى لكي يحظى بهذا الشرف واصطفاه مولاه لينال هذه الدرجة وتلك النعمة التي سوف تحول حياته إلى نعيم، وتنجيه من نار الجحيم وتشرفه بقربه من رب العالمين ولكن هناك شروط لنيل ذلك المراد. وللولاية شرطان إثنان جليلان كريمان نفيسان من أداهما وقام بتحقيقهما وأحسنهما إبتغاء وجه ربه حُق له أن يحظى بنيله شرف الولاية فيصبح على إثرها ولياً لله من أوليائه الصالحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وذلك اقتباساً من خلال النص القرآني الكريم وهذان الشرطان هما:

١ – الإيمان.

٢– التقوى والدليل على ذلك من الكتاب قوله سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٦٢،٦٣]. فقد قال ربنا قولاً فصلاً وحكم حكماً عدلاً مبيناً

لنا حقيقة من هو الولى الحقيقى وما هى شروط الولاية. فالولى هو الذى يقوم بشرطى الولاية وهما: الإيمان، والتقوى.

ثم بين لنا سبحانه ما لهذه المنة الغالية والدرجة العالية - درجة الولاية من الفضل والكرامة - فى أنه خير جزيل وعطاء كبير لصاحبها فى الدنيا والآخرة فقال سبحانه: ﴿ **لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ [يونس: ٦٤]. صدقت يا مولانا ومن أصدق من الله قيلا. ذلك هو الفوز العظيم وأى فوز أعظم من هذا الفوز؟ وأى بشرى أعظم وأغلى من هذه البشرى؟ فطوبى لأولياء الله، طوبى لرجال الله، طوبى لخواص الله، طوبى للمشتاقين إلى الله، طوبى لأحباب الله، طوبى للمبلغين فى الأرض عن الله، ويبلغ الله عنهم فى السماء، طوبى لهم وحسن مآب. وقد رَغَّبَ المولى سبحانه عباده فى الجمع بين الإيمان والتقوى وبين لهم سبحانه بأن الجامع لهما فى قلبه أجره عند الله عظيم فقال سبحانه: ﴿ **وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

الشرط الأول: الإيمان

أولا: معنى الإيمان

إن معنى كلمة إيمان فى مصطلحها اللغوى تعنى التصديق. فقوله سبحانه: ﴿ **الذين يؤمنون بالغيب** ﴾. أى يصدقون به، وقوله: فى سورة يوسف عن إخوة يوسف: ﴿ **وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين** ﴾ أى وما أنت بمصدق لنا.

والمدلول الشرعى لها أنها كلمة تدور فى محورين أساسين لا وجود

لواحد دون الآخر وهما التصديق والعمل. والتصديق والعمل هما شرطى الإيمان اللذان يحققان الإيمان فبفقدان إحداهما يفتقد الآخر فلابد من الجمع بين التصديق فى القلب ويوافق ذلك العمل لما صدقه وإلا أين التصديق بدون العمل؟ وأين العمل بدون التصديق؟ وأين تحقيقه؟ فهما كالماء والهواء وكالروح والجسد من العبد فبضياع واحدة يضيع الآخر ويفتقد الإيمان اسماً وجوهراً، فلا غنى لكل موحد آمن ورضى بالله رباً عن الإثنين أحدهما أو كلاهما، ومحمداً نبياً ورسولاً وبالإسلام ديناً والتصديق يكون بالأصل (أصل التوحيد) وهو الكلمة الطيبة لا إله إلا الله محمد رسول الله والعمل بمقتضاها. وللإيمان شعب كثيرة أحصاها لنا رسول الله ﷺ فى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان»(١) والبضع من الثلاثة إلى التسعة، والشعبة القطعة.

ثانياً: فضل الإيمان

فالإيمان نعمة غالية ومنة عظيمة لاحياة للقلوب بدونها لأنها مادة الخشوع والخضوع لله رب العالمين، فمن أُعطى نعمة الإيمان فقد أُعطى الخير كله والفضل كله وصار منعماً فى حياته برزقه هذه النعمة وتلك المنة وفاز بها فوزاً عظيماً.

---

(١) أخرجه البخارى (١ / ح٩) بلفظ الإيمان بضع وسبعون شعبة، والحياء من الإيمان ومسلم (١ص ٦٣ / ح ٥٨) والنووى رياض الصالحين (ص ٦٤ ح ١٨٧).

ومن حرم نعمة الإيمان فإنه والله لمحروم، وإنه لمبتور وإنه لمفقود إذ أن غيره من المؤمنين المتنعمين بها فى النعيم الخالد والسرور الدائم بحالهم مع الله، وهو فى الشقاء والضنك والتعب والنقص.

وإن للإيمان فضائل جمة يضيق المقام بذكرها وسردها ، وما أحلى وأغلى وأمتع أن نعيش فى ظلال بعض هذه الفضائل عبر هذا الفصل المبارك فنذكر منه البعض اليسير الذى ييسره الله جلَّ وعلا لنا فى هذا المقام.

أولاً فى الدنيا:

١ – السعادة وراحة البال

فإن أسعد الناس على وجه الأرض وأهدأهم بالاً وأطيبهم نفساً وأفضلهم سيرة وصورة وسريرة هم أهل الأيمان، وذلك لأن الإيمان سر ربانى يهبه الله من يشاء لمن يريد لمن يحب ويصطفى من عباده، و روى أن أسماء بنت أبى بكر – رضى الله عنهما – كانت دائمًا تكثر من حمد الله وشكره على ما أنعم عليها من السعادة فسئلت ذات مرة: كيف تجدينك؟ فقالت: فى أتم السعادة لأن سعادتى فى إيمانى، وإيمانى فى قلبى، وقلبى لا سلطان لأحد عليه إلا الله(١).

٣ – الشرف. ٤ – العزة. ٥– الهيبة. ٦ – الوقار.

فإن المؤمن شريفٌ عند الله بما يقوم به لله جل وعلا من أعمال الإيمان

---

(١) نقلته من كتيب دعوة إلى السعادة د/ كامل البوهى ص ١٣.

كـريـمٌ بذلك . فـيـقـول الله عـز وجل : ﴿ إِنَّ أَكْـرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَـاكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

وقد جاء فى الحديث فى وصية جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ أنه قال : « يا محمد عش ما شئت فإنك ميت ، واعمل ما شئت فإنك مجزى به ، واحبب من شئت فإنك مفارقه ، اعلم أن شرف المؤمن قيام الله وعزه استغنائه عن الناس »(١) .

فقيام الليل من جملة أعمال الإيمان المحببة إلى ا لله وإلى رسول الله ﷺ وهى شرف المؤمن ويكون شريفاً أيضاً عند الناس ، فالكل يحبه ويألفه ويتحبب إليه ويتشوق إليه ويسعد بلقائه و معرفته . وذلك كله ببركة حب الله له ، وإيمانه به سبحانه .

ويصير المؤمن عزيزاً باستغنائه عن الناس ، وخضوعه وذله لرب الناس سبحانه . فالمؤمن عزيز عند الله وعند الناس بفضل أعمال الإيمان الكريمة ، ودليل ذلك من القرآن قول الله جل وعلا : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون : ٨] .

٧- تثبيت الله للمؤمنين فى الدنيا من التحول عن الإيمان والانحراف للفتنة فيكون المؤمن محفوظاً لقوله تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ [إبراهيم : ٢٧] .

---

(١) جاء فى فقه السنة للسيد سابق (ص ١٧٦ / ج٣) عن سهل بن سعد جاء جبريل إلى النبى ﷺ فقال : يا محمد عش ما شئت فإنك ميت واعمل ما شئت فإنك مجزى به واحبب من شئت فإنك مفارقة اعلم ان شرف المؤمن قيام الليل وعزه إستغناءه عن الناس » .

ثانياً: فى الآخرة

١- تثبيت الله لهم من فتنة الممات، وهى كما أخبر أهل العلم نقلاً عن النبى ﷺ، أنهما شيطانان يأتيان للإنسان عند موته و احد عن يمينه والآخر عن شماله، فأما الذى على يمينه فعلى صورة أمه والذى عن شماله فعلى صورة أبيه فيقولان له: مت يهودياً، مت نصرانياً. فإن كان من أولياء الله ومن أهل طاعته أخزى شيطانه بثباته على التوحيد. وهذه المصيبة هى أشد فتنة تعرض على الميت لأنه لو وقع فيهاوافتتن خسر الدنيا والآخرة، وقد ذكر السيوطى فى دقائق الأخبار. أن الميت فى النزع أشد حال يكون فيها العطش وإحراق الكبد ففى ذلك الوقت يجيئ الشيطان عند رأسه معه قدح ماء من الجمر فيحرك القدح له فيقول المؤمن: أعطنى من الماء ولا يدرى أنه شيطان فيقول له قل: لا صانع للعالم حتى أعطيك فإن كان على السعادة لم يجبه، ثم يجيئ الشيطان إلى موضع قدميه ويحرك القدح له فيقول المؤمن: أعطنى من الماء فيقول قل: كذب الرسول عليه السلام حتى أعطيك منه فمن أدركته الشقاوة يجيبه إلى ذلك. لأنه لا يصبر على العطش فيخرج من الدنيا كافراً نعوذ بالله من ذلك. لأنه لا يصبر على العطش. أما من أدركته السعادة فيثبته الله تعالى ويصبر حتى يلقى الله مؤمناً. وقد سُئِل أبو حنيفة: أى ذنب أخوف لسلب الإيمان؟ فقال: من ترك الشكر على الإيمان، وترك الخوف من سوء الخاتمة وظلم العباد. فإن من كان فى قلبه هذه الخصال الثلاث فالأغلب أنه يخرج من الدنيا كافراً إلا من أدركته السعادة.

٢- تثبيت الله لهم فى القبر عند سؤال منكر ونكير.. فيثبته ربه ولا يهاب موقفهما ولكن يعلم أنهما خلق من خلق الله مثله وموكلون ومكلفون بهذا العمل للسؤال ولا سلطان لهما عليه من دون الله تعالى فيرزقه الله أن يقول: ربى الله، والإسلام دينى، ومحمد نبى الله ورسوله إليه فيفوز بالجنة.

٣- الأمن من فزع يوم القيامة وشدته وهوله وعرصاته لقول الله تعالى فى الحديث القدسى: «فإن خافنى فى الدنيا أَمَّنْتَهُ يوم القيامة».

٤- وعود الله لهم فى الجنة.. فإن أهل الإيمان لهم موعودات ثلاثة وعدها الله إياهم فى الدنيا أن يثيبهم بها فى الجنة وهم كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [التوبة: ٧٢].

١- جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها.

٢- ومساكن طيبة فى جنات عدن.

٣- ورضوان من الله أكبر ﴿ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٧٢].

٥- لا يدخل الجنة إلا المؤمنون.. بدليل قول الرسول ﷺ فى الحديث الذى رواه عن عبدالله بن عباس -رضى الله عنهما- قال: «حدثنى عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- قال: لما كان يوم خيبر أقبل نفر من أصحاب النبى ﷺ فقالوا: فلان شهيد، وفلان شهيد. حتى مروا على رجل فقالوا: فلان شهيد فقال رسول الله ﷺ: كلا إنى رأيته فى النار فى بردة غلها أو عباءة. ثم قال رسول الله ﷺ: لابن الخطاب اذهب فناد فى الناس أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون. قال: فخرجت فناديت

فى الناس. الاإنه لا يدخل الجنة إلا ا لمؤمنون »(١).

ثالثا: طريقة الحصول على حلاوة الإيمان

قد يتساءل البعض فيقول: إذاكانت نعمة الإيمان بهذا القدر من العظمة، وهذا القدر من الكرامة ولها هذا القدر من الحلاوة وهذا القدر من الفضل وسبباً للفوز العظيم يوم الدين. فكيف للإنسان أن يحصل على هذه النعمة ويتلذذ بهذه الحلاوة؟ ونترك إجابة هذا السؤال الكريم لنبينا محمد ﷺ فهو قد أجاب لنا عن هذا السؤال قديماً. فعن أنس -رضى الله عنه- عن النبى ﷺ قال: ثلاثة من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله تعالى، وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار»(٢).

فهؤلاء خصال ثلاث للحصول على حلاوة الإيمان من كن فيه فهو يتلذذ بها ويحيا بها ونريد أن نتعرف فى هذا المقام على معنى كلمة حلاوة الإيمان.

قال العلماء - رحمهم الله - ومعنى حلاوة الإيمان أى استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات فى رضى الله تعالى ورسوله ﷺ وإيثار ذلك على عَرَضِ الدنيا. فيجب على المشمر للحصول على حلاوة الإيمان أن يحصل بهؤلاء الخصال الثلاث هو أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما

---

(١) أخرجه مسلم وذكره القرطبى فى التذكرة والنووى فى رياض الصالحين.

(٢) أخرجه البخارى (١ح ٢١ فى الفتح) ومسلم (اح ٦٧) والنووى فى رياض الصالحين (ص ١٤٥ ح ٣٨٠).

سواهما بمعنى أن يحيا فى جنة الحب الخالدة الدائمة وهى جنة محبة الله ورسوله حب عن كل ما سواهما من متعلقات الدنيا ومحبوباتها وعلى حب النفس ذاتها فإن علائق الدنيا كلها ومحبوباتها مقطوعة ونافدة لا محالة ولله در القائل: —

لا تركنن إلى الدنيا وما فيها	فالموت لا شك مفنيناومفنيها
واعمل لدار غداً رضوان خازنها	والجار أحمد والرحمن ناشيها
قصورها ذهب والمسك طينتها	والزعفران حشيش نابت فيها

ولكن حب الله ورسوله لا يفنى ولا يبيد إنما عمره طويل ومديد باق وخالد لا يقطعه شيء أبداً كائن من كان ولا الموت نفسه لأن الموت لا يستطيع أن يهدم أو يقطع محل معرفة الله تعالى وحبه ومعرفته وحب رسوله ﷺ والمحبة على ضروب وأنواع.

فقد جاء فى مختار الإمام مسلم وشرح النووى من كلام الخطابى قال ابن بطال والقاضى عياض: — رحمهم الله — جميعاً ورحمنا معهم. المحبة ثلاثة أقسام: محبة إجلال وإعظام كمحبة الوالد، ومحبة شفقة ورحمة كمحبة الولد، ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة سائر الناس فجمع ﷺ أصناف المحبة فى محبته فى هذا الحديث(١).

ثانياً: أن يحب المرء لا يحبه إلا لله أى يكون محبته خالصة نقية من كل شوب يشوبها أو ما قد يشوبها من المتعلقات المادية فتكون المحبة للأخ لأنه

(١) راجع مختار مسلم وشرح النووى.

قائم على طاعة مولاه لا ينتظر من الناس جزاء ولا شكوراً ولانه يخاف من ربه يوماً عبوساً قمطريراً كان شره مستطيراً فالذى يخاف من هذا اليوم ومن ملك هذا اليوم يكون كريماً طيباً مؤمناً فوجبت لذلك محبته لانه أعلن لمولاه بخوفه وإيمانه به وحبه، وحبيب الحبيب حبيب وعن ذلك يحدثنا رسول الله ﷺ عن انس بن مالك – رضى الله عنه – عن النبى ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»(١).

ثالثاً: أن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه. أى يكره ان يعود فى عناده وشركه وريائه وتكبره وتجبره وزوره وتجرئه على الله فى عباده ونحوه كما يكره أن يقذف فى النار.

وعن أبى هريرة رضى ا لله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت»(٢) فمن خلال هذه الأحاديث النبوية الشريفة يتبين لنا أن الطريق الصحيح الموصل لحصول حلاوة الإيمان سبعة أشياء.

١– كمال محبة الله ورسوله وإيثارها على كل المحبوبات.

٢– محبة الإخوان فى الله.

---

(١) أخرجه البخارى (١/ح١٣/فى الفتح) من حديث أنس ومسلم فى الإيمان (٦٧/ح ١٧).

(٢) أخرجه البخارى (١٠/ح٦٠١٩ فى الفتح). ومسلم والفظ والنووى فى رياض الصالحين (ص١٢٤/ح ٣١٤) عن أبى شريح الخزامى رضى الله عنه عن النبى ﷺ.

٣- كراهية العودة فى الكفر والعصيان والفجور والضلال كما يكره العبد أن يقذف فى النار.

٤- أن يحب الإنسان المسلم لأخيه المسلم ما يحبه لنفسه ويعد ذلك شرطاً.

٥- ألا يتكلم العبد إلا بالخير والكلام الطيب وإلا فالصمت والسكوت أفضل.

٦- إكرام الجار وعدم إيذائه سواء كان مسلماً أو نصرانياً أو يهودياً أو كافراً.

وهؤلاء السبعة أنفع الطرق للتحصل على حلاوة الإيمان والله الموفق لذلك وعلى الله فليتوكل المؤمنون.

الشرط الثانى « التقوى ».

تعرفنا بفضل الله تعالى فى الشرط الأول من شروط الولاية مدى عظمة وفضل الإيمان ودرجته العالية وفضائله الغالية وفى هذا الشرط الثانى « التقوى » نقول والله الموفق: إن التقوى هى منة من الله عظيمة ونعمة غالية وكريمة ودرجتها وفضلها أعلى من درجة وفضل الإيمان، إذ أن درجة التقوى لا تأتى فى العبد خالصة بالحقيقة إلا بعد تحقيق درجة الإيمان السالف ذكرها، فإن لم يكن القلب موفوراً بالإيمان لم ينته لصاحبه أن يتحصل على درجة التقوى، وقد بين لنا المولى سبحانه قيمة وفضل درجة التقوى ومنزلتها التى تعلو وتفضل درجة الإيمان، فلو نظرنا إلى الآية السالف ذكرها فى أولياء الله نجد أن الله عز وجل قال فيها: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٦٣]. فقدم الإيمان على التقوى أى بدأ بالتدريج إلى العلو والرقى فى المنزلة، فالإيمان الأول ثم التقوى ثانياً ثم ما بعد ذلك

فإن لم يتحقق الإيمان لم تتحقق التقوى، ونظراً لما للتقوى من الكرامة، والفضيلة عند الله والمنزلة، العالية، فإن الله تعالى أوصى فى كتابه المؤمنين من عباده بها والتمثل بها حتى تصل بهم هذه الدرجة إلى منزلة الأولياء المقربين إلى الله سبحانه فقال سبحانه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾ [التوبة: ١١٩]. وقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. وقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ** ﴾ [الحشر: ١٨]. وقوله سبحانه لعباده المؤمنين ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ** ﴾ [الزمر: ١٠] ففى كل هذه الآيات الكريمات الإشارة من الله لعباده بالوصية يوصى فيها سبحانه عباده المؤمنين بالتقوى وذلك كثير فى مختلف الآيات فى بعض السور وذلك يبين ويؤكد لنا أن درجة التقوى منزلة عالية ودرجة سامية وخصوصية جداً لعباد هم كما قال الله فى وصفهم: ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً** ﴾ [الأحزاب: ٢٣]. فكلمة «من» تفيد التبعيض فهى للتبعيض أى جزء قليل وعدد يسير من جملة هؤلاء المؤمنين هم الرجال والذى سماهم رجال هو رب وخالق كل الرجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وهى درجة التقوى إذاً فمن منطلق هذه الآية الكريمة نعلم بإذن الله أن درجة التقوى تعنى أن العبد يصدق الله تعالى على ما عاهده عليه لأنه يصير عنده نذراً فيخاف أن ينقضه وهذه الآية الكريمة نزلت فى أبطال الإسلام الأوائل الذين صدقوا حقاً مع الله فنذروا له أنهم إذا أدركوا حرباً مع رسول الله ﷺ ثبتوا وقاتلوا

حتى يستشهدوا ﴿ فمنهم من قضى نحبه ﴾ أى فمنهم من وفى نذره وعرضه حتى استشهد فى سبيل الله - كأنس بن النضر، وحمزة رضوان الله عليهما - ﴿ ومنهم من ينتظر ﴾ أى منهم من ينتظر الشهادة فى سبيل الله ﴿ وما بدلوا تبديلاً ﴾ أى ما غيروا عهدهم الذى عاهدوا عليه ربهم أبداً(١) والصدق مع الله وإبقاء عهده وقضاء نذره، والخوف من نقض عهده من تقوى القلوب ولو أننا بحثنا فى كتاب الله وتفكرنا فى آيات الوصية بالتقوى من قِبَله سبحانه إلى عباده نجد أن الله تعالى أوصى عباده بالتقوى على وجهين: وجه الخصوص، وعلى وجه العموم. أما الذى على وجه الخصوص فقد خص فى وصاياه بالتقوى فى الغالب المؤمنين كمثل قوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] والذى على و جه العموم كمثل قوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]. وذلك يفيد بأن الله جل وعلا قد خص المؤمنين عن عامة الناس بذكرهم في وصاياه بالتقوى لما لهم عند الله من الفضل والكرامة والإيمان وأعلى من ذلك كله وأجمله وأحلاه وأكمله وأبقاه وأتمه إذا أكملوا إيمانهم هذا بالتقوى.

وقد أوصى الحق سبحانه وتعالى عباده بأن يجعلوا التقوى لهم زاداً إلى الآخرة وبين أن أفضل أنواع الزاد وخيرها زاد التقوى فمن جعل التقوى زاده فهو الرجل العاقل الفطن الكيِّس الناجى من عذابه الفائز بجنته إن شاء

---

(١) راجع صفوة التفاسير للصابون ج ١٢ص ٥٦ تفسير الأحزاب.

الله سبحانه: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧]. فحقاً وصدقاً كما اخبر المولى سبحانه ان اهل التقوى هم أولى الألباب أى هم أولو العقول والافهام الصحيحه السليمة. فاعقل الناس هم التقاة وخير الناس هم التقاة وافضل الناس هم التقاة وأكرم الناس هم التقاة وافطن الناس هم التقاة وأكيس الناس هم التقاة وأفلح الناس هم التقاة وأحب الناس إلى الله هم التقاة وأقرب الناس إلى الله هم التقاة وأثبت الناس على إيمانهم هم التقاة، والشياطين ابعد ما تكون من التقاة والملائكة اقرب ما تكون من التقاة لماذا؟ لانهم نظروا إلى هذه الدنيا بعين الحقيقة والتدبر نظروا إلى الآخرة بعين البصيرة والإقبال. فعلموا ان الدنيا دار نفاد لا محل إخلاد ومركب عبور لا منزل خلود وعلموا انها نافدة وبائدة اكَّالَة غوَّالة بَدَّالة نَقَّالة. غرَّارة ضَرَّارة خَوَّانة غدَّارة لاتدوم خيراتها ولا تامن فجعتها وعلمواان الآخرة دار نعيم ودار خلود وسرور وعلموا انها هى الباقية السرمدية وأن الدنيا فانية دنية فآثروا الباقى على الفانى وباعوا الرخيص بالغالى واشتروا من الله الجنة وما فيها من نعيم مقيم فهل هناك اعقل من هؤلاء الرجال ولله در القائل..

تزود من التقوى فإنك لا تدرى إذا جن

عليك ليل هل تعيش إلى الفجر

ولكن للأسف زعم بعض العصاة والمخالفين من المتقدمين والمتأخرين من الفلاسفة والعباقرة والمخترعين وغيرهم انهم هم اعقل الناس وهم وحدهم أصحاب العقول وهم أولى الألباب، ونحن نقول لهم أن العقل وكماله ليس فى الاختراع والابتكار والوصول إلى درجة معينة فى علم فرعى من

علوم البيئة ولكن فى تقوى الله والخوف من عذابه والاستعداد إلى لقائه وغير ذلك، فكيف يكون عاقلاً من تسبب لنفسه بغفلته عن الله أن أوقع بها إلى العذاب الأليم كيف يكون عاقلاً من خسر الآخرة ونعيمها السرمدى، كيف يكون عاقلاً من اشترى الرخيص بالغالى وآثر الفانى بالباقى ثم أى عقل هذا الذى أدى بصاحبه إلى الحسرة والندامة والخزى أمام الله.

أى عقل هذا الذى أدى بصاحبه إلى العذاب الأليم فى نار الجحيم. اللهم لا فإن العاقل الحقيقى هو التقى المتذكر فى خلق السموات والأرض والنجوم والسحاب والقمر والكواكب والأحياء والأموات والطبيعة والبيئة والحيوانات البرية ومعيشتها والنبات وتكوينه والإنسان وحياته كل شيء وكل نوع له ظروف حياتية خاصة لابد لها من خالق ومنظم فمن هو ذلك الخالق؟ وأليس هو الله رب العالمين وحده؟ بلى لذلك قال الله: ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾ [البقرة ١٦٤] ويقول النبى ﷺ : «الكَيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى»(١).

من فضل وكرامات التقوى

إن للتقوى من الفضائل العظيمة والكرامات الجسيمة ما لو عرفه واطلع

---

(١) أخرجه الترمذى وأحمد فى مسنده وابن ماجه وأخرج الحاكم وصححه على شرط البخارى.

عليه الثقلان . الإنس والجن على حق قدره لهانت عليهم الدنيا وما فيها من شهواتها وملذاتها، ولشمروا لنيل هذه الفضائل وتلك الكرامات وصبروا لذلك مهما كانت الأسباب والعقبات ولآثروهاعلى كل ما سواها من الفضائل، ونحن إن شاء الله نعد من هذه الفضائل والكرامات فى هذا الفصل على سبيل المثال لا على سبيل الحصر ثلاثة وعشرون فضلاً.

١- معية الله ونصرته لأهل التقوى لقوله : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٤].

٢- سبباً للحكمة ﴿ إن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ [الانفال: ٢٩].

٣,٤- سبباً لتكفير الذنوب ومغرتها وتعظيم الاجر عند الله وذلك لعظمة درجتها ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ [الطلاق :٥].

٥- سبب للتوفيق فى تحصيل العلم ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ [البقرة:٢٨٢].

٦- سبباً للمغفرة ﴿ واتقوا الله إن الله غفور رحيم ﴾.

٧- سبباً للسهولة واليسر فى كل الامور ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ [الطلاق : ٥].

٨- سبباً للخروج من الهم و الغم والضيق والمحن والكروب ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾ [الطلاق : ٢].

٩- سبباً لجلب الرزق والسعة فيه ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق : ٢].

١٠ - سبباً للنجاة من عذاب الله فى الآخرة ﴿ **ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَواْ** ﴾ [مريم: ٧٢].

١١- سبباً لنيل فضيلة درجة الصدق مع الله وشهادة الله لهم بذلك ﴿ **أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون** ﴾ .

١٢ - سبباً لوصول العبد إلى درجة الكرامة على جميع الخلق ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ .

١٣ - سببا لمحبة الله ﴿ **فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ** ﴾ [آل عمران: ٦٧].

١٤ - سبباً للفلاح ﴿ **واتقوا الله لعلكم تفلحون** ﴾ .

١٥- سبباً لنيل الجزاء والخير وحفظ الله لهذا الأجر والخير والوصول إلى درجة الإحسان ﴿ **إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين** ﴾ .

١٦- سبباً لقبول أعمال البر والإنفاق ﴿ **إنما يتقبل الله من المتقين** ﴾ .

١٧- سبباً للفوز العظيم يوم الدين ﴿ **وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم** ﴾ .

١٨- سبباً لصفاء القلوب وطهارتها ﴿ **فإنها من تقوى القلوب** ﴾ .

١٩ - سبباً للعلو فوق كل الخلائق فى الدرجة ﴿ **والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة** ﴾ .

٢٠ - سبباً للقرب من الحضرة الربانية ﴿ **إن المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر** ﴾ .

٢١- سبباً لصلاح الأعمال ومغفرة الذنوب ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم** ﴾ .

٢٢- سبباً لتقريب الجنة لهم يوم القيامة ولا يُكلفون المشى اليها لفضلهم على الله سبحانه ﴿ **وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد** ﴾ .

٢٣- سبباً لمعية الله لهم ﴿ **إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾ .

ثانياً: طريقة الحصول على درجة التقوى

ما أطيب الحديث واحلاه عن معرفة الطرق الخيرة لاقتباس الفضائل النيرة وتحصيلها . وإن فضيلة التقوى من أعلى أنواع الفضائل كما بيناه آنفاً وهى درجة أعلى من درجة الإيمان فهى درجة الخواص إلى الله وهى درجة أهل طاعته وخشيته وأهل قرآنه وهم العلماء والزهاد، يبقى لنا أن نسأل كيف وبماذا يتحصل الإنسان على درجة التقوى العظيمة؟ والإجابة تقول أن هناك أربع خصال لتصحيل درجة التقوى، فلو أن العبد قام بهن وحققهن نالها، ووصل سريعاً بإذن الله إليها .

أربع خصال هن السر الموصل إلى درجة التقوى . والتقوى حصيلتهن، الا وهن الخوف من الله، والعمل بكتاب الله، والرضا بقضائه، والاستعداد للقائه، وهذا ما ذكره الإمام على بن أبى طالب، كرم الله وجهه ورضى الله عنه عندما سئل عن التقوى فقال التقوى هى : -

الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والرضا بالقليل ، و الاستعداد ليوم الرحيل .

١ - الخوف من الجليل:

وصفة الخوف هذه صفة الرجال وإن لفضل الخوف من الله ما يضيق المقام عن ذكره وسرده وإن هذه الفضيلة تعين العبد لا محالة على إدراك السعادة فى الدنيا وفى الآخرة فيكون العبد سعيداً فى دنياه بلذة الخوف من الله التى يجدها فى قلبه لا يخشى غيره واستشعاره دائماً لعظمة ربه سبحانه و معيته واطلاعه عليه فى السر والعلن فتزداد المحبة والشوق إلى هذا الإله الخالق العظيم، ويكون سعيداً فى الآخرة بإذن الله تعالى بالفوز العظيم والآمن من عذابه سبحانه، ودخوله الجنة لان الله سبحانه هو الذى قال لنا ذلك: ﴿ **ومن أصدق من الله قيلا** ﴾ [النساء: ١٢٢].

فقد قال سبحانه فى الحديث القدسى: «وعزتى وجلالى لا اجمع على عبدى خوفين ولا اجمع له امنين فإن امننى فى الدنيا اخفته يوم القيامة وإن خافنى فى الدنيا أَمَّنْتَهُ يوم القيامة»(١).

والخوف على أنواع ومقامات وكلٌ حسب نوعه

جاء فى مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة وفى الإحياء لابى حامد فى بيان اقسام الخوف ما مختصره «اعلم ان مقامات الخائفين تختلف، فمنهم من يغلب على قلبه خوف الموت قبل التوبة، ومنهم من يغلب عليه خوف الاستدراج بالنعم أو خوف الميل عن الاستقامة، ومنهم من يغلب

---

(١) أخرجه ابن حيان فى صحيحه والبيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة ورواه ابن فى الزهد وابن أبى الدنيا فى كتاب الخائفين من رواية.

عليه خوف سوء الخاتمة(١)، وهى أعلى وأفضل أقسام الخوف - خوف سوء الخاتمة - انتهى».

فضل الخوف من الجليل سبحانه :-

الخوف من الجليل سفينة النجاة للغرقى من لُجَّة الدنيا ولله در القائل:

إن لله عـــبـــاداً فـطـنًا
طلقـوا الدنيـا وخـافـوا الفـتنا
نظروا فـيـهـا فلمـا عـرفـوا
أنـهـا ليـست لحى وطـنا
جـعلوها لجـة واتخـذوا
صـالح الأعـمـال فـيـهـا سـفنا

ونذكر من فضلها ما جاء فى الكتاب والسنة المطهرين فقد قال الحق سبحانه: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن : ٤٦]. ليست جنة واحدة ولكن جنتان وذلك لِمَا لفضيلة الخوف عند الله من الكرامة وقال سبحانه: ﴿ رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه ﴾. وقد جاء فى الحديث عن النبى ﷺ قال: «لن يغضب الله على من كان فيه مخافة» (٢) وقال ﷺ: «إذا اقشعر جلد العبد من مخافة الله عز وجل تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها»(٣) رواه الطبرانى والبيهقى.

ومن فضلها وفضل البكاء من خشية الله جل وعلا ما ذكره ابن عباس

---

(١) راجع مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المعدالى ص ٣١٦ فى بيان أقسام الخوف.

(٢) ذكرة ابن قدامة فى كتابه السابق ذكره ص ٣١٧.

(٣) رواه الطبرانى والبيهقى من حديث عباس بن ضيف.

عن النبى ﷺ أنه قال: «عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس فى سبيل الله».

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَلِجُ النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع. ولا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم»(١) رواه الترمذى.

وفضل الخوف من الله سبحانه أنه واجب على كل إنسان. وأن يكون دائماً على خوف وَوَجَل من الله سبحانه فيراقبه فى سره وفى علنه وفعله وقوله ويخشى أن يطلع عليه فيراه على معصية فإن الملائكة تخاف الله وهم الذين خلقوا لطاعته ولم يفكروا فى معصيته قال سبحانه: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٠].

وقد جاء فى الحديث عن النبى ﷺ قال: «إن لله ملائكة ترتعد فرائصهم من مخافة الله»(٢). وعن جابر رضى الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «لما كان ليلة أسرى بى رأيت جبريل عليه السلام كالشن البالى من خشية الله تعالى»(٣).

وجاء فى مختصر مناهج القاصدين عن يزيد الرقاشى قال: «إن لله تعالى ملائكة حول العرش تجرى أعينهم مثل الأنهار إلى يوم القيامة. يميدون كأنما تنفضهم الريح من خشية الله تعالى فيقول لهم الرب عز وجل: يا ملائكتى ما الذى يخيفكم وأنتم عندى؟ فيقولون: يارب لو أن أهل

---

(١) أخرجه الترمذى (٨/ح ١٢٦٤ فى الفتح) (ومسلم فى الفضائل ح ١٣٤/ ١٨٣٢) أ النووى فى رياض الصالحين (ص /١٧/ ح٤٥٣).

(٢) راجع مختصر مناهج القاصدين ص ٣٢٢: ٣٤٨.

(٣) راجع مختصر مناهج القاصدين ص ٣٢٢: ٣٤٨.

لأرض اطلعوا من عزتك وعظمتك على ما اطلعنا عليه ما استساغوا طعاماً ولا شراباً، ولا انبسطوا فى فرشهم ولخرجوا إلى الصحارى يخورون كما تخور البقر»(١).

وكان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يخافون ربهم ويبكون من خشيته ويُحَذِّرون الناس من الغفلة عن خوف الله جل وعلا. فهذا نبينا محمد ﷺ يبكى عند سماعه القرآن من عبد الله بن مسعود. فقد ورد فى الصحيحين عن ابن مسعود – رضى الله عنه – قال: قال لى رسول الله ﷺ: «اقرأ علىَّ القرآن قلت يا رسول الله أأقرأ عليك القرآن وعليك أنزل؟ قال: إنى أحب أن أسمعه من غيرى فقرأت عليه سورة النساءحتى جئت إلى هذه الآية: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١] حسبك الآن فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان» متفق عليه(٢).

وعن أنس – رضى الله عنه – قال: خطبنا رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط قال: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً» فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين» متفق عليه(٣).

---

(١) راجع مختصر مناهج القاصدين لابن قدامة ص ٣٢٨ وإحياء علوم الدين لأبى حامد فى باب الخوف.

(٢) أخرجه البخارى (٨ح ٢٤٥٨ فى الفتح) ومسلم(١/ ٥٥١/ ح ٢٤٧) والنووى فى رياض الصالحين (ص١٧٠/ ٤٥١)

(٣) أخرجه البخارى (٨/ ح٤٦٢١/فى الفتح) ومسلم فى الفضائل (٤/ ١٨٣٢/ ح١٣٤) والنووى (ص٥٤/ ح٤٠٦).

وذكر أن آدم عليه السلام بكى على خطيئته أربعين عاماً وإبراهيم الخليل كان يقول لربه: ﴿ وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٩,٨٨,٨٧].

وداود بكى على خطيئته أربعين يوماً وهو ساجداً لم يرفع رأسه حتى نبت من دموع عينيه البقل فناداه ربه يا داود أمريض فتشفى؟ أم جائع فتطعم؟ فنحب نحيباً هاج كل ما نبت وقال بل رحمتك أرجو وفي ذلك قال فيه ربه: ﴿ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ [ص: ٢٤]

وعيسى عليه السلام كان من شدة خوفه من الله يقطر جلده دماً.

وقد جاء في الصحيحين البخاري ومسلم أن عائشة - رضي الله عنها - قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ قط مستجمعاً ضاحكاً حتى أرى لهواته، وإنما كان يبتسم وكان إذا رأى غيماً أو ريحاً عرف ذلك في وجهه فقلت: يا رسول الله، الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر وأراك إذا رأيته عرفت الكراهة في وجهك فقال يا عائشه: ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب، قد عذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب ﴿ قالوا هذا عارض ممطرنا ﴾(١).

وكان أصحابه ﷺ أشد الناس خوفاً من الله جل وعلا خوفاً سهرهم ليلهم وصومهم نهارهم، فورد عن الإمام علي أنه وصف حال هؤلاء الرجال. أخرج ابن أبي الدنيا عن أبي أراكه يقول: صليت مع علي - رضي الله عنه - صلاة الفجر فلما أن انفتل عن يمينه مكث كان عليه كآبة حتى

---

(١) أخرجاه في الصحيحين البخاري ومسلم.

إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح صلى لله ركعتين ثم قلب يده فقال: «والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فما أرى اليوم شيئاً يشبههم لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً بين أعينهم أمثال ركب المعزى قد باتوا لله سجداً وقياماً يتلون كتاب الله تعالى يتراحون بين جباههم وأقدامهم فإذا أصبحوا فذكروا الله عز وجل مادوا كما يميد الشجر فى يوم الريح وهملت أعينهم حتى تبتل ثيابهم والله لكأن القوم باتوا غافلين»(١).

وكان التابعون من بعدهم يقتدون بهم في خوفهم من الله جل وعلا فهذا على بن الحسين - رضى الله - عنه رُوِىَ أنه كان إذا توضأ اصفر وجهه وتغير فيقال له: مالك قد اصفر وجهك وتغير فى الوضوء؟ فيقول: أتدرون بين يد من أريد أن أقوم.

وكان عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - يبكى عامة الليل وكان إذا ذكر الموت انتفض وارتجف كانتفاض الطير وكان يبكى حتى تبل دموعه لحيته ودخل داره ليلة فبكى حتى أبكى أهل الدار فلما انكشفت عنهم العَبْرَةُ قالت فاطمة: بأبى أنت يا أمير المؤمنين لم بكيت؟ فقال: ذكرت منُصَرف الناس بين يدى الله تعالى فريق فى الجنة وفريق فى السعير ثم صرخ وغشى عليه»(٢)

٢- العمل بالتنزيل وهو القرآن الكريم

لأنه من خاف من الجليل سبحانه أدى به خوفه إلى العمل بكلامه.

(١) حياة الصحابة للكاندهلوى.
(٢) أخرجه أبو نعيم فى الحلية.

وعدم هجره لأن التارك للقرآن فقد هجره، والذى لا يقرأه فقد هجره والذى يقرأه ولا يعمل به فقد هجره. فعن عثمان بن عفان -رضى الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» وإن القرآن أفضل أنواع الذكر وأفضل أنواع العبادة أخرج أبو نعيم عن أنس -رضى الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل عبادة أمتى القرآن»(١).

وعن أبى أمامة -رضى الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ عليه وسلم يقول: «اقرأوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»(٢).

وعن أبى هريرة -رضى الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الرب تبارك وتعالى: «من شغله القرآن عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه»(٣) رواه الترمذى.

وروى ابن ماجة بإسناد حسن عن أبى ذر -رضى الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر لأن تغذو فتتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلى مائة ركعة ولأن تغدوا فتتعلم باباً من العلم عُمِلَ به أو لم يُعْمَلْ به خير لك من أن تصلى ألف ركعة»(٤) فانظر إلى عظمة أجر تعلم القرآن الكريم وآياته فتعلم الآية الواحدة خير من صلاة مائة ركعة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى الحلية.

(٢) أخرجه مسلم (٥٥٣/ح٢٥٢) وأحمد فى مسندة والبيهقى فى السنة والنووى (٣٢٣/ح٩٩).

(٣) رواه الترمذى.

(٤) أخرجه ابن ماجه بإسناد حسن

وأخرج ابن حيان عن على -رضى الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ «أنزل القرآن الكريم على عشرة: بشيراً، ونذيراً، وناسخاً، ومنسوخاً، ومحكماً، ومتشابهاً، وعظة، ومثلاً، وحلالاً، وحراماً. فمن ابشر ببشره وانتذر بنذيره وعمل بناسخه وآمن بمنسوخه واقتصر على محكمه ورد علم متشابهه إلى عالمه واتعظ بعظته واعتبر بمثله وأحل حلاله وحرم حرامه فأولئك هم المؤمنون حقاً لهم الدرجات العلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً وهو وارثى ووارث الانبياء من قبلى، ولولا انه قيل لا نبى بعدى لكان نبياً من أنبياءً الله تعالى ولا يزال فى ضمان الله تعالى، وحيثما تلا القرآن غشيته الرحمة وتنزلت عليه السكينة وكان بعين الله منوراً له قلبه إلى يوم القيامة ويحشر يوم القيامة فى زمرتى وتحت لوائى، ولوائى - أبيض العود، أخضر الرقعة، أفيح الريح، له لسانان، لسان يرى بالمشرق ولسان يرى بالمغرب - يظل حملة القرآن والمتحابين فى الله. ومن ضيع واحدة منهن فقد ضيع كلهن ويلقى الله غداً ظمآن محول القلب نادم القلب مرتعد الفؤاد حاسر القدم مستجيباً من الرب مغفوراً له أو معذباً» أخرجه ابن حيان(١).

فهذا الحديث الشريف قد وضح لنا الطريق وبين لنا فيه الحبيب محمد ﷺ فضل القرآن والعامل به كيف يكون حاله فى الدنيا وحاله فى الآخرة ففى الدنيا قال عنه المصطفى لولا انه قيل لا نبى بعدى لكان نبياً من أنبياء الله. وذلك قمة التشريف والعطاء فى الدنيا وهو وارث النبى وكل الانبياء وقد شهد له المصطفى فى هذا الحديث بالإيمان الحقيقى الكامل وهو فى

---

(١) اخرجه ابن حيان

ضمان الله أى فى حفاظته وحصنه وهو كلما تلا القرآن وغشيته الرحمة رحمه الله تعالى وتنزلت عليه السكينة وكان بعين الله أى بحفاظه الله له منوراً له قلبه أى يرى الحق حقاً ويتبعه والباطل باطل فيجتنبه وذلك هو نور القلوب وفى الآخرة يحشر فى زمرة النبى ﷺ وتحت لوائه ويظله فهنيئاً ثم هنيئاً لأهل القرآن أولئك هم عباد الله وأوليائه الصالحين، وعطية القرآن للعبد هى أكبر عطية وأفضل منة لا تساويها كل العطايا والمنن.

فعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ :« من قرأ القرآن ثم رأى أن أحداً أوتى أفضل مما أوتى فقد استصغر ما عظمه الله تعالى »(١) وانظر إلى شفاعة القرآن وماذا يصنع مع صاحبه يوم القيامة وسط العرصات والنكبات والأهوال؟ فعن بشير بن المهاجر قال: حدثنى عبد الله بن بريدة عن أبيه بريدة عن النبى ﷺ أنه قال:« إن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حيث ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول هل تعرفنى فيقول ما أعرفك فيقول أنا صاحبك القرآن الذى اظمأك فى الهواجر وأسهرت ليلك وإن كل تاجر من وراء تجارته وإنى لك اليوم من وراء كل تجارة فيعطى الملك بيمنه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسى والديه حلتين تقوم لهما الدنيا فيقولان: بم كسينا هذا؟ فيقال بأخذ ولدكما القرآن. ثم يقال: اقرأ واصعد فى درج الجنة وغرفها فهو فى صعود ما كان يقرأ هذا كان أو ترتيلاً »(٢)

---

(١) رواه الطبرانى.

(٢) أخرجه أحمد والدرامى من حديث أبو نعيم ورجاله ثقات.

٣- الرضى بالقليل

والرضى درجته عالية وفضله عظيم وأجره عند الله كريم حيث إن الراضى أعلى درجة من الزاهد ويسمى ايضاً قانع والقناعة كنزل لا يفنى كما قيل فى المثل، والراضى بالقليل لا يسمى فقيراً بل هو غنى برضاه، وذلك لأن الفقر هو الاحتياج للشىء فيصير فقيراً إليه، لذا نقول فلان الفقير إلى عفو ربه بمعنى المحتاج إلى عفو ربه والفقير إلى الله المحتاج إلى الله والفقير إلى المال هو المحتاج إلى المال فإن المحتاج إلى الشىء إن لم يرض به وشعر انه لا زال محتاج إليه وإن أعطاه فهو يسمى فقير أما الراضى فلا يطلق عليه هذا الاسم لانه قد رضى وقنع بما آتاه الله فصار فى غنى عن الكثرة ومطلبها وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال: (اللهم اجعل رزق محمد قوتاً).

٤- الاستعداد ليوم الرحيل

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٠٢ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٢، ١٠٣]

فهذه الآية الكريمة وصية من الله لنا جميعا يجب أن نجعلها نصب اعيننا دائماً فإنها تبين لنا كيف يكون الإستعداد ليوم الرحيل.

والاستعداد ليوم الرحيل هو صفة الرجال العقلاء الاكياس أولى الالباب قال ﷺ: «الكَيِّسُ من دان نفسه وعمل لما بعد الموت»(١)

(١) اخرجه الترمذى واحمد وابن ماجه.

وسئل الحسن البصرى ما سر زهدك فى الدنيا؟ فقال: اطمأن قلبى بأربعة أشياء: علمت أن عملى لن يقوم به غيرى فاشتغلت به وحدى، علمت أن رزقى لن يأخذه غيرى فاطمأن قلبى، علمت أن الموت يطلبنى فأنا أستعد له فى كل لحظة، علمت أن الله مطلع علىّ فاستحييت منه أن يرانى على معصية» ولن يكون فى العبد الاستعداد ليوم الرحيل بالحقيقة إلا بكثرة ذكر الموت قال الدقاق: من أكثر من ذكر الموت أُكْرِمَ بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة. ومن نسى الموت عوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة، وترك الرضا بالكفاف، والتكاسل فى العبادة. فتذكر يا مغرور فى الموت وسكرته وصعوبة كأسه ومرارته فياللموت من وعد ما أصدقه ومن حاكم ما أعدله كفى بالموت مقرحاً للقلوب ومبكياً للعيون ومفرقاً للجماعات وهادماً للذات وقاطعاً للأمنيات فهل تذكرت يا بن آدم فى يوم مصرعك وانتقالك من موضعك وإذا نقلت من سعة إلى ضيق وخانك الصاحب والرفيق وهجرك الآخ والصديق وإذا نقلت من فراشك وغطاءك إلى عرر وغضوك من بعد لين لحافك بتراب ومدر. فيا جامع المال والمجتهد فى البنيان ليس لك. والله ما المال إلا الأكفان بل هى للخراب والذهاب وجسمك للتراب والمآب. ذكره السيوطى فى دقائق الاخبار.

وفى الخبر: إذا فارقت الروح البدن نودى من السماء بثلاث صيحات يا ابن آدم أتركت الدنيا؟ أم الدنيا تركتك؟ أجمعت الدنيا؟ أم الدنيا جمعتك؟ أقتلت الدنيا؟ أم الدنيا قتلتك؟ وإذا وضع على المغتسل نودى بثلاث صيحات يا ابن ادم تذهب إلى سفر بعيد بغير زاد وتخرج من

منزلك فلا ترجع وتركب فرساً لا تركب مثله أبداً وتصير إلى بيت ما أهوله وإذاحمل على الجنازة نودى ثلاث صيحات. يا ابن آدم: طوبى لك إن كنت تائباً، طوبى لك إن كان عملك خيراً، وطوبى لك إن كان صحبك رضوان الله، وويل لك إن صحبك سخط الله.

وإذا وضع للصلاة نودى بثلاث صيحات يا ابن آدم: كل عمل عملته تراه الساعة إن كان عملك خيراً تراه خيراً، وإن كان عملك شراً تراه شرا.

وإذا وضعت الجنازة على شفيرا لقبر نودى بثلاث صيحات: يا ابن آدم ما تزودت فى العمران لهذا الخراب وما عملت فى الغنى لهذا الفقر وما حملت من النور لهذه الظلمة فإذا وضع فى اللحد نودى بثلاث صيحات: يا ابن آدم كنت على ظهرى ضاحكاً وصرت فى بطنى باكياً وكنت على ظهرى فرحاً وصرت فى بطنى حزيناً وكنت على ظهرى ناطقاً فصرت فى بطنى ساكتاً وإذا أدبر الناس عنه يقول تعالى: عبدى بقيت فريداً وحيداً وتركوك فى ظلمة القبر وقد عصيتنى لأجلهم، وللزوجة والولد وأنا أرحمك اليوم رحمة يتعجب منها الخلائق. وأنا أشفق عليك من الوالدة بولدها..

وقال ﷺ: أكثروا ذكر هادم اللذات (يعنى الموت) وكان ابن عمر يقول: إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح.

الفصل الرابع

أسرار الولاية واكتساب درجة الصفاء (صفاء الود)

لكل شىء عظيم القدر جليل الخطر أسرار لعظمته وجلالته والولاية أعظم ما يؤتى العبد من بعد نعمة الإسلام وذلك أن الإسلام لكل الناس والولاية لخواص الناس ونحن فى هذا الفصل بإذن الله تعالى نضع النقاط على حروفها ونقوم بفتح النار والكشف عن أسرار من أعلى وأسمى وأعظم الأسرار التى وضعها الملك الغفار فى أناس أطهار وعباد أبرار من صفوة خلقه بدار الفرار تؤهلهم إلى عبر العقبات الضرار والفوز بالجنة فى دار القرار، فحمداً لله الواحد القهار خالق الخلق ومقدر لهم الأقدار وحاصيهم وضارب لهم الآجال على ما وفقنى إليه تعظيماً وإجلالاً فى كشف أسرار هى عُدَّة الرجال وعتادهم بدار الاختبار وحالهم وصفاتهم ليلاً ونهاراً وصلابة عزمهم سراً وجهراً وقوة إيمان تثير الانبهار وعلم وخشية خيبت عنهم الشيطان واحتار فطوبى لهؤلاء الرجال الذين مدحهم فى كتابه ذو الجلال فقال: ﴿ **من المؤمنين رجال** ﴾. طوبى لمن فطنوا أن الدنيا دار ارتحال وفناء واضمحلال ولجة. غرق فى البعد والضلال فتعلقوا بحبال الانتشال وودعوا الضيع والأهوال وصاروا بعاقبة حسن مآل أهل سعادة واستهلال فإن عباد الله الذين هم أولياءه وخاصته والذين هذا حالهم وتلك حقائقهم قد أكرموا من الله وسُعدوا بخصوصية الله لهم دون خلقه فَمَنّ الله على كل واحد منهم بثلاثة أسرار بل ثلاثة أنوار ألا

وهم: سر الروحانية، والملكية، والربانية.

أولاً: سر الروحانية

وكلمة روحانية نسبة إلى الروح، والروح والجسم فى الإنسان هما مادتى حياته فى دار الدنيا ولكل منهما غذاء يختلف عن الآخر فغذاء الجسم بالأطعمة المادية، المأكل والمشرب. وقد نهى الإنسان عن الإسراف فى ذلك. فيقول الحق سبحانه: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[الاعراف: ٣١] ولهذا النوع المادى – أى الجسم – متطلبات وهى أنواع: المأكل وأضاف المشرب والملبس، والمنكح، والمسكن.

أما الروح فهى: جسم نورانى خفيف وطيفة ربانية أودعها الله سبحانه فى جسم الإنسان لِتُقَوِّمَ له سوق حياته.

وغذاء هذه الروح يختلف تماماً عن غذاء قرينها الجسد فغذاؤها فى كثرة العبادة والخشوع والذكر والشكر وغذاؤها الخلوة والمناجاة والدعاء والبكاء من خشية الله وملبسها اللوم والخضوع ومسكنها الأنس بالله عز وجل وزواجها فى العمل بكل ذلك فى الدنيا والإخلاص فيه.

ولكل واحدة منهن طريق لاكتسابها

١– الروحانية بالتفكر والاعتبار.

٢– الملكية القيام والصيام.

٣– الربانية وهى الانقطاع لعبادته وموالاة طاعته.

وقوة كل منهما على حسب مراعاة العبد له فى غذائه واهتمامه بذلك فإذا اهتم بالجسم وغذائه واشتغل به عن الروح قوى وقوت شهوته وغلبت عليه وضاعت من ذلك ارادته وعزيمته، وكلما أرادت الروح أن تمده بالإرادة والعزيمة قوى عليها وضعفها وقهرها وصار حينئذ صاحبه صاحب نفس شهوانية وهى وليدة اشتغال العبد بمادته الجسمية فتصبح سبعية أو بهيمية أو شيطانية وهؤلاء هم أنواع النفس الامارة فافسدت تلك الأمارة على العبد روحه وقهرتها وضعفتها ودمرت إرادتها والعياذ بالله وافسدت الإثنين معاً الروح والبدن، لذا كانت الروحانية عاملاً مهماً لانها تعمل على إظهار الإنسان فى ثوب إيمانى جديد جذاب متين، فإذا اهتم العبد بهذه الناحية الروحية وقام بتغذيتها بالتوبة النصوح والخشوع والخضوع والخلوة للذكر والدعاء والخوف والرجاء والملامة على ما سلف من الذنوب ورواها بكثرة البكاء والسهر فى ظلمة الليل للتهجد والدعاء قويت بإذن الله لا محالة بذلك كله روحه وقويت إرادتها وشدت عزيمتها وانصلحت وأصلحت معها البدن أيضاً والإنسان كله وهذبته تهذيباً كريماً واكتسب بقوتها هذه وقوة إرادتهاوعزمها النفس المطمئنة واللوامة وهما من الروحانية فإن الروحانية بتحقيقها ترتقى روح العبد إلى عنان السماء وتحلق وتتطوف حول العرش وتسبح فى رياض الجنات جنات الذكر والشكر والخلوة والعبادة وتستقر فى بيتها المستنير وهو بيت الأنس بالله جل وعلا والإطمئنان بذكره قال تعالى : ﴿ **أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾ [الرعد :٢٨] ويبقى لنا أن نسأل إذا كانت هذه الدرجة وذلك السر فى مثل هذا الجمال وهذه الروعة فكيف يستطيع الإنسان أن يحقق الروحانية

كيف يتحصل على هذه الدرجة وذلك السر العظيم ونجيب فنقول بإذن الله لكى يتحصل العبد على سر الروحانية فلابد أن يحقق لها شرطين وهما التفكر والإعتبار لانهما السر فى اكتسابها وتحقيق الروحانية.

«أولاً التفكر»

والتفكر له شأن عظيم وفضل كريم وقد أمر الله تعالى عباده جميعاً بالتفكر فى آلائه والتعرف على نعمائه ومخلوقاته وعجيب صنعه وبديع خلقه فقال تعالى: ﴿ **فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ** ﴾ [عبس: ٢٨] وقال تعالى: ﴿ **أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ** (١٧) **وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ** (١٨) **وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ** (١٩) **وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ** ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠] وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ** .. ﴾ الآية إلى قوله ﴿ **لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾ [البقرة: ١٦٤].

أما المحمود فهو ان يتفكر الإنسان فى آلاء الله سبحانه ومخلوقاته. والمذموم أن يتفكر فى الله أى فى الذات العلية الذات الإلهية وهذا حرام ولا يجوز وقد حذرنا رسول الله ﷺ ونهانا عن هذا التفكر ورغب فى النوع الأول فقد ورد فى الحديث رواه الطبرانى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **« تفكروا فى آلاء الله ولا تتفكروا فى الله »** أخرجه الطبرانى والبيهقى وقال بشر الحافى **لو تفكر الناس فى عظمة الله تعالى ما عصوه فالله عز وجل عظيم فى شانه عظيم فى خلقه عظيم فى سمائه عظيم فى ارضه عظيم بين ملائكته عظيم فى**

بديع ما صنع وفى جميع ما فرق وجمع.. فلو تفكر الناس فى هذه العظمة لاستحوا من هذه الآية العظيمة أن يعصوه وهو المطلع عليهم. وفقنا الله تعالى جميعاً لذلك الخير.

ثانيا: سر الملكية

وهى نسبة إلى الملائكة وهى الدرجة الثانية للترقى بروح العبد إلى منزلة (صفاء الود) وفى هذه الدرجة نتعرف كيف وبماذا ترتقى روح العبد نفسه؟ من درجة الروحانية إلى درجة الملكية وذلك بشيئين اثنين وهما (القيام والصيام) فبالقيام والصيام تصير روح العبد فى طهارتها وعفتها وزهدها وذكرها وانقيادها لخالقها وبارئها ومصورها والآخذ بناصيتها مثل الملائكة فى هذا الصفاء. والطاعة والإقبال فتصبح نفس العبد بذلك وكأنها نفس نورانية لا تعرف للمعصية طريقاً وكأنها جبلت وخلقت وفطرت على الطاعة فقط وعصمت من الزلل حتى ببصير فؤادها طاهرا كافئدة الطير حتى لو نظر الناظر إلى صاحب هذه النفس فى صفاته العلوية يشعر كأنما ينظر إلى ملك من ملائكة الرحمن لا إلى بشر عادى من عامة البشر فيراه مستنير الوجه ونوره ظاهر كانه كوكب درى قمرى يدور فى فلكه، لذا كان الحسن البصرى رحمه الله لونه أسمر إلا أنه كان مستنير الوجه ظاهر البشاشة والنور ببركة الإيمان حتى أن الناظر إلى وجه يكاد ينسى سمار لون من شدة نوره فلما سألوه عن ذلك النور قال لاننا خلونا بالله فى الليل بالقيام فكسا الله عز وجل فى قلوبنا ووجوهنا من نوره فاصبحت مستنيرة بنور الإيمان.

وإن أهل الليل فى ليلهم وهم قائمون، الذ من أهل اللهو فى لهوهم وهم لاهون ودليل ذلك أيضا من المثل القائل: «كل أناء ينضح بما فيه فإن كان فى الإناء الماء نضح على جسمه الماء وإن كان اللبن نضح اللبن.

وإن كان غيره ينضح الذى به وقلب المؤمن إناءه، ووجهه جسم الإناء فإن كان فى قلبه نور الإيمان ينضح على وجهه من ذلك النور وإن كان الفجور نضح ذلك فيعرف وجه الكافر من وجه المؤمن بإذن الله تعالى، والمعين الذى يستمد منه ذلك النور هو القيام والصيام فإن القيام هو شرف للمؤمن كما ذكرنا وقد مدح الحق سبحانه أهل الليل القائمين له والناس نيام فقال سبحانه ﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات: ١٧, ١٨] .

ووصفهم بأنهم هم أهل العلم والخشية وهم المميزون عند الله على سائر خلقه فقال سبحانه فى شأنهم: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ٩] .

وقال سبحانه: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة: ١٦] وقال يوصى نبيه ﷺ: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً ﴾ [الإسراء: ٧٩] وأوصى رسول الله ﷺ أمته بقيام الليل وأخبر أنه سببا لدخول الجنة. فعن عبد الله بن سلام رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «يا أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام» رواه الترمذى(١)

---

(١) أخرجه الترمذى (٣/ح١١٤٢ فى الفتح) ومسلم(١/١٥٣٨/ح٢٠٧) وأبو داود ح٣٠٦) وابن ماجه ح ١٣٢٩) والنسائى ح ١٦٠٦) وأحمد فى مسنده (٢/ح٢٢٤٣ ومالك فى الموطأ ح ١٧٦) والنووى ص ٣٦٥/ح١١٧٤).

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل»(١)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ زوجته فإن أبت نضح فى وجهها الماء ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فإن أبى نضحت فى وجهه الماء(٢) رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وقد بين رسول الله ﷺ لاصحابه ولنا من بعدهم أن أفضل الرجال وخيرهم هم الذين يقومون من الليل لله بالسجود والركوع. فعن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «نعم الرجل عبد الله لو كان يصلى من الليل» قال سالم فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلا. متفق عليه(٣) وكان النبى نفسه ﷺ يقوم لا ينام حتى تتورم قدماه. فعن عائشة رضى الله عنها قالت كان النبى ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه فقلت له: لم تصنع هذا يا رسول الله وقدغفر لك ما تقدم من ذنب وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً» متفق عليه(٤)

ثانيا: الصيام. وهو الامتناع عن المأكل والمشرب وعن سائر الذنوب

---

(١) أخرجه الترمذى .ح٢٠٢) وأبو داود ح ٢٤٢٩ والترمذى ح ٤٣٨ وابن ماجه والنسائى وأحمد فى مسنده ٥٣٥٣.

(٢) أخرجه الترمذى وأبو دا،ود ح ١٣٠٩ وابن ماجه صحيح.

(٣) أخرجه البخارى فى الفتح (٨/ ١١٢٢) ومسلم فى الفضائل (٤/ ١٤٠) والنووى فى رياض الصالحين (ص ٣٦٤/ ح١١٧٠)

(٤) أخرجه البخارى فى الفتح (٨/ ٤٨٣٦) ومسلم/ ح٧٩) المغيرة بن شعبة

والمعاصى لله، وينقسم إلى : صوم العوام، وصوم الخواص، وصوم خواص الخواص، كما ذكر أبو حامد الغزالى فى الإحياء.

فصوم العوام هو : الامتناع عن المآكل والمشرب . وصوم الخواص : هو صوم الجوارح كلها عن الذنوب والمعاصى . وصوم خواص الخواص : هو صوم القلب وامتناعه عن الانشغال بغير الله وانقطاعه لذكره وشكره وطاعته .

والصيام : هو أكبر عامل تربوى للنفس البشرية لأنه فيه مخالفة النفس عن شهواتها وملذاتها وهو الحلال فكيف بها إن كانت فى حرام .

وهو يرقى بالنفس إلى الصفاء والإخلاص والرقة والرأفة بعبد الله والصائم يمثل الملائكة فى انقطاعها عن كل المتعلقات المادية وجبلها على الطاعات والنورانيات العلوية .

السر الثالث : الربانية :

وهى الدرجة الثالثة الخاتمة للترقى بالعبد إلى منزلة ودرجة (صفاء الود) وكلمة ربانية : نسبة إلى الرب وهى صفة الربانيين أى بمعنى المقربين إلى الله بالطاعات والمخلصين له فى القربات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات، وهى درجة عالية وفضيلة غالية صعبة المنال وهى درجة خواص الخواص عند الله الذين سعدوا فى الدارين بإذن الله تعالى، فطوبى لمن وصل بمنة الله عليه إلى هذه الفضيلة وتلك الدرجةوحسن مئاب .

ولكى يتحصل العبد على هذه الدرجة العالية فلها سبب للوصول، فيصل العبد إلى درجة الربانية إلى الله جل وعلا إذا حقق شيئين كريمين، وهما الانقطاع لعبادته، وموالاة طاعته .

أولا : الانقطاع لعبادته : فيقول الحق سبحانه : ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [الذاريات : ٥٦] فإن ذلك هو المقصد الأساسى لخلق الجن والإنس، فيجب الانقطاع لعبادة هذا الخالق العظيم ليقوم المخلوق على الهدف الصحيح . ويقول سبحانه فى الحديث القدسى : « عبدى أطعنى تكن ربانيا »(١) ويقول أيضا : « يا ابن آدم تفرغ لعبادتى أملئ صدرك غنى وأسد فقرك، وإلا تفعل ملأت يدك شغلا ولم أسد فقرك »(٢) رواه الترمذى عن أبى هريرة .

ومعنى الانقطاع للعبادة التفرغ لها ليس المقصود به الرهبانية وملازمة الخلوة بعيدا عن الناس مدى الحياة، فإن من يفعل ذلك يصبح مخالفا للشرع مخالفا للسنة مخالفا للدين الحنيف .

وإنما يعمل لدنياه كما يعمل لآخرته ولكن يحول ذلك العمل المادى إلى عبادة وطاعة لله جل وعلا، بمعنى أن يكون نحو ذلك العمل بمثابة المضطر له من أجل العفة وعدم الحوجة، ويضع فى نيته أن يعمل لله وطاعة له لأنه هو الآمر فى قوله : ﴿ **أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا** ﴾ [النساء : ٩٧] وقوله سبحانه : ﴿ **هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** ﴾ [الملك : ١٥] وقوله سبحانه فى سورة الجمعة : ﴿ **فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِى الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [الجمعة : ١٠] .

---

(١) أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب .

(٢) ذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب وجاء فى الأحاديث القدسية ورواه الترمذى عن أبى هريرة .

فهذه الآيات الكريمات بينت لنا أن السعى للرزق مطلوب وواجب، ولكن على شرط أن لا يشغل العبد عن ربه ويلهيه وينسيه، وإنما يحوله إلى عبادة يذكره فيها لقوله فى سورة الجمعة: ﴿ **واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون** ﴾

ولكن الانقطاع لعبادة الله جل وعلا يكون فى تفريغ الوقت الكثير من حظوظ الدنيا ولهوها لذكر الله والخلوة لعبادته وطاعته وأن يجند العبد نفسه لخدمة دينه ويحمل مسئولية الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أمانة على عاتقه ويتفقه لذلك فى دينه ويطلب أبواب العلم حتى يستطيع به التعرف على قيود الجهل والغفلة ويتمكن من أن يعبد الله على علم لا على جهل لأن العابد العالم أحب إلى الله وأقرب من العابد الجاهل وأن العابد الجاهل قد يصيب بجهله فجراً أفجر من فجور الفاجر والعياذ بالله والعابد على جهل لا يعرف مداخل الشيطان وثغراته فهى عنده مفتوحة يدخل الشيطان له منها حيث شاء أما العالم فقد أغلقها وسدهاعليه لذا فإن الشيطان من الجاهل قريب وحبيب ومن العالم بعيد وطريد وقد ورد فى الحديث عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ «فضل العالم على العابد سبعون درجة ما بين كل درجتين حضر الفرس سبعين عاما وذلك لأن الشيطان يبتدع البدعة فيبصرها العالم فينهى عنها والعابد مقبل على عبادة ربه لا يتوجه إليها ولا يعرفها» رواه الاصبهانى.

فهذه الدرجة العظيمة الربانية أجدر بالانقطاع لعبادة الله تعالى فالانقطاع يجعل العبد يغير بيئة السوء وصحبته إلى بيئة الإيمان وصحبته

ويغير من منهج الفساد والضلال إلى منهج الطريق المستقيم لطاعة الله وخشيته وكذا يحرص على موالاة الطاعات وفموالاة طاعة الله توصل إلى هذه المنزلة منزلة الربانية وكما قال العلماء: سمى الولى وليا لانه والى الله تعالى بالطاعة ووالاه الله بالمغفرة وقد أوصى سبحانه بهذه الموالاة والتمسك بها فقال سبحانه ﴿ **وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتتفرق بكم عن سبيله** ﴾.

فمن قام بهؤلاء الأسرار الثلاثة وشروطهن بقى له واحدة وهى أن يخلو بربه سويعات من الليل بعيدا عن الأنظار فيضرع إلى مولاه وينصب له قدميه ويبدأ بصلاة ويرفع له بالذل يداه فيناجيه بدعائه ويسمعه بكلامه ويشكوا له حاله ويظهر له ضعفه وانكساره وذله وافتقاره ويسأله بالإلحاح أن يحفظ عليه هذه النعمة الجديدة المديدة التى اكتسبها بعد ما عبر كل هذه العقبات وحقق الطاعات يحفظ عليه نعمة ودرجة (صفاء الود) صفاء الود لمولاه لانها حقاً فوزاً عظيمًا وكنزًا كبيرًا ونعمة وحبره وجنة عالية قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية: « وفقنا الله لذلك أمين.

الفصل الخامس

علامات الولاية

للولاية علامات ظاهرة ومعروفة متى وجدت تلك العلامات فهى تدل على صحتها ومنها :-

١- أن تكون خالصة من شوائب الشرك مثل الدعوة لغير الله والنذر والطواف والقسم والقربة ونحوه.

٢- الولاية لا تتفق مع البدعة فالبدعة تقضى عليها تماماً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ١٥٩]. فقد أمر رسوله أن يتبرأ من كل صاحب بدعة وقالوا إن هذه الآية نزلت فى الخوارج وروى النووى فى الأربعين عن الدار قطنى عن النبى ﷺ « إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها وحد حدوداً فلا تعتدوها وسكت عن أشياء رحمة لكم من غير نسيان فلا تسألوا عنها »[١] وفى رواية أخرى فلا تبحثوا عنها.

٣- الولاية درجة لاتتفق مع حب الجاه والسلطة والعلو فى الأرض لقوله سبحانه : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص : ٨٣].

---

(١) رواه الإمام النووى فى الأربعين عن الدار قطنى.

٤- الولاية درجة تتفق مع الزهد والفقر والافتقار وإن كان غنياً وخشونة العيش.

٥- من علاماتها تفريغ الأوقات للعمل الصالح والتلذذ بالطاعات، وبذلك ما في الوسع للقربات وإيثاره ذلك على كل المحبوبات.

الباب الثانى

الـــولـــى

من هو الولى الحقيقى وعلاماته وصفاته وأسرار الأولياء وشروط وكرامات الأولياء؟

بداية : لا أقول غاب ولكن التبس على كثير من الناس وبالذات فى أيامنا هذه فهم ومعرفة من هو الولى الحقيقى وأصبحت الفرصة سانحة للشيطان عليه لعنة الله ليَجِدَّ فى عمله ويعطل الأفهام ويشوش على الأفكار بكثرة الخوض فى هذا الموضوع الذى اتخذه بحراً ينصب فيه شباكه ومطية يحمل عليها عتاده فيزين للناس أشياء باطلة فى صورة حسنة ويذم للناس الحق فيجتنبوه وتمكن بالفعل من التلبيس على الكثيرين حتى أساءوا فهم ومعرفة من هو الولى الحقيقى وصيرلهم الأمر أمر جدل واختلاف مع أن القضية بَيِّنَة والأمر واضح كالشمس فى كبد النهار لا يحتاج إلى مثقال ذرة من جدال واختلاف ولكن هى خطة الشيطان اللعين للتضليل عن سبيل الله وسنة رسوله وتعطيله للأفهام لذا قال تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة : ١٦٨]. وظن بعض الناس أن الولى الحقيقى ليس من أبناء هذا العصر ولا يوجد فى أى مصر من أمصار هذا الزمان وإنما كان الأولياء الحقيقيون فى الزمن الأول وفى صدر الإسلام الأول وهم الصحابة فقط أو السلف وأما الآن ليس هناك ولىٌّ حقيقىٌّ من أولياء الله الصالحين الذين هم لا خوف عليهم ولاهم يحزنون،

لان الكل مذنبون ومقصرون وان الواحد منهم مهما عمل من الصالحات وتفانى فى القربات فلن ينال درجة الولى وهذا مفهوم خاطئ لا يوخذ به لانه مفقود الحجة والدليل لان القول بهذا الكلام لم يطلع على اللوح المحفوظ فيتعرف على أمور الغيب. ثم ياتينا بالخبر اليقين فى هذا الموضوع، ولم يكشف أحد عن قلوب الناس ليعرف أنهم مذنبون مقصرون وانهم غير أولياء الله.

ومنهم من زعم ان الولى الحقيقى ليس إلا من بنى له مقامًا مرموقًا، وشيد له ضريحًا شامخًا ليذهب الناس إليه فيتبركون به ويطوفون حوله ويعكفون على قبره رجاء الغوث به أو كشف البلايا وجلب المنافع ونحن نقول لهؤلاء ان هذا المقبور إن يكن وليًا حقًا فإنما نفع بولايته نفسه وخلصها من العذاب الأليم وقبضة الله لثوابه وأما عن التبرك والتمسح والطواف والنذر له من دون الله فلن ينفع ولن يفيد لأن النافع ينفع يوم القيامة نفسه ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ ويوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وأما إن كان هذا المقبور غير ولى -كان عاصيًا أو سفيها- فالمصيبة أكبر لان الذى يدعوه أو يستجلب منه نفعًا أو ضرًا يصبح مغبون فى أمره إذ انه يدعو رجلاً ضالاً مقيمًا فى العذاب ولله در القائل:

كم من قباب تزار ... وأصحابها فى النار

ومنهم من قال ان الولى الحقيقى قد يكون شخصًا موجودًا بين الناس ويعرفونه ويعرفهم ويكون عاقًا أو مسرفًا أو فاجرًا وقد يكون وليًا لان ولايته سرًا بينه وبين الله تعالى ونسوا أن سوء خلق هذا يقدح فى ولايته.

ومنهم من أفدح فيه القول فقالوا إن الولى الحقيقى لا يشترط فيه أن يكون مصليًا أو صوامًا أو قوامًا وربما يكون تاركًا للصلاة ولا يعرف قبله المسلمين ولا يصوم ولا يقدم شيئًا من أركان الإسلام ولا أعمال البر ورغم ذلك فهو ولى من أولياء الله الصالحين وإذا سألتهم كيف؟ سرعان ما تسمع الإجابة حاضرة على الألسنة بالافتراء على الله فيقولون إنه لا يصلى فى دنياكم هذه ولا يصوم فيها ولا يتعبد فيها وإذا قلت لهم إذا فأين يصلى؟ وفى أى دنيا أخرى يتعبد؟ لقالوا لك: إنه قد يكون يصلى فى كوكب آخر وعالم آخر غير عالم الأشباح هذا يصلى فى عالم نورانى غيبى علوى، أما الصلاة فى هذا العالم فهى لا تليق لمثل هذا الولى لأنه عالم نَجَّسَهُ البشر بالذنوب وربما قالوا لك إنه لا يصلى ولا يصوم ولا يزكى ولا يحج لأنه قد رفع عنه التكليف وأذهب الله عنه مئونة العبادة وإذا قلت لهم كيف ولماذا؟ لقالوا: لأنه قد (حقت) فيه هذه الآية ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجرات: ٩٩] وهذا الولى قد وصل إلى درجة اليقين وهذه هى درجة رفع التكليف ومؤونة العبادة فلا عبادة عليه. ولا ندرى أو ليهم هذا هو على ملة أهدى من ملة محمد ﷺ؟ أم أنه إفتراء على الله وكذب؟ والثانية هى الحقيقة. وغير ذلك كثير جداً من الكلام والكذب والافتراء الذى تأبى أن تسمعه الآذان وتتأذى من سماعه وتأباه أيضًا القلوب المؤمنة وتأباه الفطر السليمة الصحيحة ويأباه أيضًا العقل الذكى المتفكر وتراهم يقولون الكلام على أمز جتهم ويفسرون آى القرآن حسب ما تمليه عليهم أهواؤهم وتوحيه شياطينهم حتى قالوا عن اليقين المقصود فى الآية السابقة هى

درجة الوصول لرفع التكليف وعلم القلم وفسروها على ما يروق لهم هم ونسوا أن المقصود بها الموت ويشهد الله على ما فى قلوبهم وهو ألد الخصام ويشهد الله أن ذلك الإفتراء ما يراد به إلا هدم الإسلام فهم قوم للإسلام هدامون والإسلام منهم براء بشركهم وزيفهم وافتراءاتهم فنسأل الله تعالى صالح الأحوال لنا جميعاً أمين..

الفصل الأول

من هو الولى الحقيقى

قال الله سبحانه وتعالى فى سورة البقرة ﴿ **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ** ﴾ [البقرة: ٢٥٧] ولم يقل سبحانه الله ولى الذين أتاهم درجة اليقين أو ولى من رفع عنهم التكليف ومشقة العبادة ولم يقل الله ولى أصحاب المقامات والأضرحة وإنما قال: ﴿ **وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴿٦٢﴾ **الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٣].

وقال فى الحديث القدسى المبارك رواه البخارى وأبو نعيم فى الحلية والبغوى وذكره الألبانى فى السلسلة أن الله تبارك وتعالى قال: « من عادى لى وليًا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضته عليه وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها. ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه وما ترددت عن شئ أنا فاعله ترددى عن قبض عبدى المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته »[1] فقد بين لنا المولى سبحانه فى هذا الحديث القدسى وفى

---

(١) أخرجه البخارى (١١/ ح ٦٥٠٢ فى الفتح) وأبو نعيم فى الحلية والبغوى وذكره « الألبانى فى السلسلة) وفى عون البارى.

الآيات القرآنية: من هو الولى الحقيقى. فقد ذكر سبحانه أنه هو المتقرب إليه بالطاعات المتحبب إليه بالنوافل والقربات المواظب والحريص على طاعة مولاه سبحانه.

ففى الآية الأولى قوله سبحانه ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ فذكر الإيمان، والإيمان قول وعمل وفى الثانية قال عن أولياء الله: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ إذًا فشرط الولاية الإيمان والتقوى وفى هذا الحديث القدسى بين لنا فضل من يقوم بهذه الأعمال الصالحات إلى الله بأنه يكون الله تعالى سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها. وإذا سأل الله ودعاه فى أى وقت استجاب له دعوته وأعطاه مسألته وإذا استعاذه من شىء يكرهه ويخافه أعاذه منه ونصره عليه، وكيف أن الله ببركة حبه لوليه هذا لم يتردد فى شىء هو فاعله تردده من قبض روح الولى لأنه يكره الموت والله يكره مساءته لحبه له ورحمته وإكرامه. وذلك يفيد مدى حب ورحمة الله لوليه.

ولم يذكر لنا المولى سبحانه فى أمر الولى شىء مما تفوه به المتكلفين والمتفيهقين من القائلين فى الولى بالإطراء أو بالغلو فيه بالكلام المخترع والمصتنع من عند أنفسهم والذى ما أنزل الله به من سلطان.

وقال السيوطى: وسمى الولى وليًا لأنه والَى الله بالطاعة ووالاه بالمغفرة وقال الحافظ فى الفتح المراد بولى الله العالم بالله المواظب على طاعته المخلص فى عبادته وقوله سبحانه من عادى لى وليًا فقد آذنته بالحرب: أى أعلمته بأننى محارب له حيث أنه كان محارب لى بمعاداته وليًا من أولياتى.

وقال العلماء: إن أولياء الله تجب موالاتهم وتحرم معاداتهم وأعداء الله تجب معاداتهم وتحرم موالاتهم.

وقال: الطوفي ولما كان ولى الله سبحانه ممن تولى الله سبحانه بالطاعة والتقوى تولاه الله بالحفظ والنصرة وجاء فى الحديث النبوى الشريف «إن لله عباداً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله قالوا: أخبرنا من هم وما أعمالهم فعلنا نحبهم. قال: قوم تحابوا فى الله على غير أرحام بينهم ولا أموالاً يتعاطونها فو الله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى منابر من نور. لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ثم قرأ ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤] رواه الطبرانى.

حديث سيدنا عيسى عن أولياء الله الصالحين

وعن أولياء الله الصالحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين هم حقًا لله أولياء تحدث نبى الله عيسى عليه السلام: جاء فى كتاب الزهد لأحمد عن عوف بن داود قال سمعت محمد بن داود عن أبيه عن وهب قال: قال الحواريون: يا عيسى من أولياء الله عز وجل الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. قال عيسى بن مريم:

«الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها والذين نظروا إلى آجل الدنيا حين نظر الناس إلى عاجلها فأماتوا منها ما يخشون أن

يميتهم وتركوا ما علموا أن سيتركهم فصار إستكثارهم منها استقلالاً وذكرهم إياها فواتًا وفرحهم بما أصابوا منها حزنا فما عارضهم من نائلها رفضوه وما عارضهم من رفعتها بغير الحق وضعوه وخَلقت الدنيا عندهم فليسوا يجددونها وخربت بينهم فليسوا يعمرونها وماتت في صدورهم فليسوا يحييونها يهدمونها فيبنون بها آخرتهم ويبيعونها فيشترون بها ما بقي لهم ورفضوها فكانوا فيها هم الفرحين ونظروا إلى أهلها صرعى قد خلت فيهم المثلات وأحيوا ذكر الموت وأماتوا ذكر الحياة يحبون الله ويحبون ذكره ويستضيئون بنوره ويضيئون به، لهم خبر عجيب وعندهم الخبر العجيب بهم قام الكتاب وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا وبهم علم الكتاب وبه علموا وليسوا يرون نائلاً مع ما نالوا ولا أمانًا دون ما يرجون ولا خوفًا دون ما يحذرون»(١).

---

(١) ذكره الإمام أحمد بن حنبل في كتابه الزهد في مواعظ عيسى عليه السلام.

الفصل الثانى

علامات الولى

إنه مما لا يتعارض مع العقل والشرع أن لكل صاحب حال علامات ظاهرة تعبر عن حاله وتنطق بلسان لا يكذب وهو لسان الفطرة عن داخله الذى يشعر به فيعرف المسرور والفرح بعلمات السرور والفرح. وهى مثلاً بشاشة الوجه والابتسامة ويعرف المحزون من عباسة الوجه وسرعة الغضب ويعرف المجهد من احمرار الوجه ويعرف الخائف من اصفراره وارتباكه ويعرف المريض من هزله ووعكه وهلم جرا.

ويعرف الولى من أولياء الله الصالحين الذين هم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون من علامات ظاهرة فيه يلتمسها به الناس. لأنها تكون علامات تميزه عن غيره ألا وتنطق بلسان الحق بأن صاحبها ولى من أولياء الله ألا وهى:

١ – من تذكرك بالله رؤيته، ويذهدك فى دنياك عمله، ويزيدك فى عملك منطقه.

٢ – فى الصلاة فيكون حالة فيها حال الخشوع والخضوع والتعظيم لها والمحافظة عليها مهما كانت الظروف.

٣ – فى محبته السنة والعمل بها والتمسك والحرص عليها.

٤ – فى محبته لأهل السنة.

٥ – دعوته إلى الله فيجند نفسه داعي إلى الله على بصيرة فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

٦ – في تجريد التوحيد المنافي للشرك بالله جل وعلا فلا ينبغي أن يكون من الذين يتخبطون من الناس فيعطلون تجريد توحيدهم لخالقهم بسبب شركهم أو غلوهم في الصالحين أو اتخاذهم مع الله نداً أو وليًا ونحوه.

٧ – في مخالفته لأهل البدع والبعد عن مذهبهم إبتغاء وجه الله جل وعلا.

٨ – في قوله الحق ولو كان مراً.

٩ – أن يعد نفسه من المقصرين وإن كان من المجتهدين.

١٠ – ألا يستكثر على الله الكثير ولا يرضى له بالقليل.

١١ – أن يكون للسانه خازنٌ ولبصره مطرفٌ وفي نطقه لله ذاكرٌ.

١٢ – أن يستوى لديه ذم الناس ومدحهم.

١٣ – أن يكون لين القلب صغيراً عند نفسه مهابًا مبجلاً عند الناس.

١٤ – إذا ذكر الله مال كما يميل الشجر في يوم الريح وهملت عينيه بالبكاء والدموع.

١٥ – أن يعبأ بأمر الآخرة ولا يعبأ بأمر الدنيا وإذا عرض عليه أمران أمر دنيا وأمر آخرة ابتدأ بأمر الآخرة وقدمه على أمر الدنيا وتفرغ لأمر الدنيا بعد ذلك.

١٦ – حبه للمساكين وتعظيمه لأهل الدين.

١٧ – فى التواضع لعباد الله فى أرضه.

١٨ – عدم طلبه العلو فى الأرض والرفعة والجاه وحب السلطة والمال والبناء لقوله تعالى: ﴿ **تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ [القصص: ٨٣] وأن ينظر إلى من هو دونه ولا ينظر إلى من هو فوقه.

١٩ – ألا يخشى فى الله لومة لائم. فلا ينبغى له أن يكون مداهنًا أو منافقًا أو خائفًا من جبار فى الأرض أو ظالم أو لا يكون نفاقه ومداهنته حفظًا منه لشرف أو سمعة أو منصب يخشى عليه.

فقد جاء فى كتاب الروح لابن القيم فى الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ما مختصره :-

والفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان أن أولياء الرحمن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون.

فأولياء الرحمن هم المخلصون لربهم المحكمون لرسله فى الحرم والحل والذين يخالفون غيره لسنته ولا يخالفون سنته لغيرها. فلا يبتدعون ولا يدعون إلى بدعة ولا يتحيزون إلى فئة غير الله ورسوله واصحابه ولا يتخذون دينهم لهوًا ولعبًا ولا يستحبون السماع الشيطانى على سماع القرآن ولا يؤثرون صحبة الافتتان على مرضاة الرحمن ولا المعازف والمقانى على السبع المثانى وأنشد يقول...

برئنا إلى الله من معشر   بهم مرض مورد للضنا

وكم قلت يا قوم أنتم على شفا جرف من سماع الغنا
فلما استهانوا بتنبيهنا تركنا غويًا وما قد جنا
وهل يستجيب لداعي الهدى غوى أصار الغنا ديدنا؟
فعشنا على ملة المصطفى وماتوا على تاتنا تنتنا

وقال رحمه الله:

فأولياء الرحمن المتلبسون بما يحب وليهم الداعون إليه المحاربون لمن خرج عنه وأولياء الشيطان المتلبسون بما يحب وليهم قولاً وعملاً يدعون إليه ويحاربون من نهاهم عنه فإذا رأيت الرجل يحب السماع الشيطاني من الشرك والبدع والفجور علمت أنه من أوليائه فإذا اشتبه عليك فاكشفه في ثلاث مواطن :-

١ - في الصلاة ومحبته لأهل السنة وأهلها ونفوره عنهم.

٢ - ودعوته إلى الله ورسوله.

٣ - وتجريد التوحيد والمتابعة وتحكيم السنة فزنه بذلك لا تزنه بحال ولا كشف ولا خارق ولو مشى على الماء أو طار في الهواء - انتهى.

فإذا وزنته بهؤلاء الثلاث وتبين لك أنه من أهل البدع والمخالفة والضلالة فيجب الابتعاد عنه واجتناب مجلسه لان فيه الخسارة لا المكسب وقد جاء في كتاب الاعتصام للشاطبي قال: فيما كتب أسعد بن موسى لعامله «وإياك ان يكون لك من البدع أخ أو جليس أو صاحب فإنه جاء في الأثر من جالس صاحب بدعة نزعت منه العصمة ووكل إلى نفسه، ومن مشى إلى صاحب بدعة مشى إلى هدم الإسلام.

الفصل الثالث

صفات الولى

قال تعالى فى سورة الفرقان ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣ - ٦٤] وقال تعالى ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٥ - ١٧] وقال تعالى ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٨].

فمن خلال هذه الآيات الكريمات المباركات يتبين لنا أن لأولياء الله سبحانه صفات عظيمة القدر غالية وهى صفات العلو والرقى إلى الله فى الدارين وهذه الصفات تتمثل فى :-

١ - صفة التواضع ولين الجانب للناس.

٢ - صفة السجود والقيام.

٣ - صفة الصبر وتفويض الأمور على الله.

٤ - صفة الصدق.

٥ - صفة القنوت.

٦ – صفة الإنفاق.

٧ – صفة الاستغفار فى آخر ساعات الليل وقبل ظهور الفجر وهو وقت السحر.

٨ – صفة السمع والطاعة لكلام الله وكلام رسوله ﷺ.

الفصل الرابع
أسرار الأولياء

إن عالم الأسرار عالم له طَابَع خاص فهو عالم غريب وعجيب لانه يكون بين الناس ومحجوب عن الناس وغريب لأنه كالحوت يسبح فى قاع بحر النفس ولا يخرج منها فيموت وهو كالعذراء فى خدرها تخشى أن تتكشف للناس فلا تنكشف إلا للمحارم فقط . ولا يستطيع أحد كائن مَنْ كان أن يطلع على هذا العالم الغريب العجيب ويجليه إليه إلا الله سبحانه و حده لانه ﴿ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه : ٧] .

ونحن بفضل من الله تعالى فى هذا الباب وفى هذا الفصل نكشف عن أغرب وأعجب ما فى هذا العالم الخفى من أسرار وذلك بإذن من الله وفضله . ونكشف عن غريب هذا العالم ونسرد عجيبة من الأسرار فى هذا المقام والله الموفق فإن لأولياء الله الصالحين الذين هم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون أسرار قربتهم من الله وثبتتهم على طاعته و كانت سبباً لتفوقهم فى عبادته وذاقوا حلاوة لهذه الأسرار وتمتعوا بلذاتها فهونت متعة هذه الأسرار عليهم مصائب الدنيا ومشاقها فحولت مرارة العذاب إلى حلاوة وشقاوة الدنيا إلى سعادة .

وقربت لهم كل بعيد وكشفت لهم عن كل نور جديد وتلك الأسرار العالية نسجتها عزائمهم وصنعتها هممهم وحاكتها قلوبهم وقدمتها

أرواحـم وأبدانهـم خالصة طيبة نقية إلى الله رب العالمين.

وهذه الأسرار تنقسم إلى قسمين أو نوعين وهى . . . أسرار مع النفس، وأسرار مع الله سبحانه.

وأما أسرار الولى مع نفسه فهى ستة أسرار لتربية النفس وتقويمها فلكل ولى من أولياء الله الصالحين مع نفسه أسرار لتربيتها وتقويمها لكى يعدها له وزيراً معيناً له على طاعة مولاه جل وعلا ونذكر هؤلاء الأسرار الستة وما فيهن من العجائب فاما هؤلاء الأسرار فهى: -

المشارطة، والمراقبة، والمحاسبة، والمعاقبة، والمجاهدة[1]، والمعاتبة.

وأما أسراره مع الله فهى سبعة أسرار وهم:

١- سر سلامة القلب

٢- سر سلامة الإسلام

٣- سر الإلهام

٥- سر الحكمة

٦- الهيبة والوقار

٧- سر السعادة وراحة البال

السر الأول المشارطة

ومعنى المشارطة والشرط هو ما يتقرر فى بيع وفى الفقه هو ما لا يتم البيع إلا به وبماذا تكون المشارطة؟ تكون بالعقل على النفس.

(١) اقتباساً من كتاب إحياء علوم الدين للغزالى ومختصر منهاج القاصدين لابن قدامه.

وهذا السر وتلك الفضيلة المشارطة لها شأن كريم على النفس لأنها واحدة من أساليب التربية الفعالة لنفس العبد المؤمن فهى درجة علية، أول درجات الرقى بالنفس والسمو بها إلى منازل الأولياء والمقربين.

فما أحوج كل نفس بشرية خلقها الله إلى هذه الفضيلة السمينه وذلك الخلق الرفيع فتتحلى بالمشارطة وتقوم بها لتنعم بخيرى الدنيا والآخرة ويتم لها بعد تمام وكمال الطاعة ما ادخره المولى لها من النعيم والحيرة والمشارطة تكون بالعقل على النفس فيكون العقل بمثابة التاجر الفطن والنفس بمثابة الشريك الغير مأمون فيشترط العقل على النفس شروطاً ويوظف عليها الوظائف فكيما تربح التجارة يحتاج كل تاجر إلى شريك يستعين به فى تجارته وكذلك العقل يحتاج إلى مشاركة النفس لتقوم السوق وتعرض البضائع وتجرى الوظائف ويكون العقل راشداً مرشداً فيرشد النفس إلى الطريق الصحيح ويخشى خيانتها وشرودها ويقف لها مراقباً ومربياً كى تعينه على الوصول إلى بر الأمان والفوز بالربح المنتظر بعد تماما المدة المحددة لهذه التجارة و إنفضاض السوق وأى تجارة أعظم من التجارة مع الله رب العالمين.

وأى ربح لتجارة أعظم وأغلى من الجنة والفردوس الأعلى فحق على تجارة كان ربحها الفردوس الأعلى أن تحظى من قبل صاحبها بالتدقيق والمشارطة والمحاسبة خشية الخسارة وفوات هذا النعيم كله المنتظر.

وحق لتجارة ربحها هذا المؤمل أن تحظى من قبل صاحبها ببذل قصارى الجهد فى السعى لطلبها والعمل والجد من أجلها والحرص عليها.

فكيف تكون المشارطة:

تكون بأن يشترط الإنسان بعقله على نفسه أن تحفظه من سبعة أعضاء هؤلاء الإعضاء السبعة ما هلك هالك إلا من ورائهن..

وما أدخل الناس نار الجحيم وذاقوا العذاب الأليم بعد إيمانهم وإسلامهم وعلمهم إلا بهن أو بعضهن أو عدم التحصن منهن.

وهؤلاء السبعة أعضاء هن السمع والبصر واللسان والبطن والفرج واليد والقدم..هؤلاء الأعضاء السبعة بهن النجاة من الاهوال وسوء الأحوال والضروب والنكال وبهن الحسرة والندامة والخيبة والتعاسة.

ولو نظرنا إلى هؤلاء الأعضاء نجد أنهم سبعة وأبواب النار سبعة وكأن كل عضو من هؤلاء الأعضاء سبباً لفتح باباً من أبواب النار ودرك من دركاتها.

فتفطن يا أريب قبل أن تقع فى أمر كريب فلا تجد لك صاحب ولا قريب ولا صديق ولا حبيب يخلصك من نار الجحيم ومرار أليم وعذاب مقيم واشترط على نفسك من الآن قبل فوات الأوان وأنت فى دار الدقائق والثوان أن تملأ قلبك بالإيمان وتشغل عمرك بالإحسان وتصرف نفسك إلى الواحد الديان بالطاعة والإقدام فاشترط عليها أن تحفظك من عينك فلا تنظر إلى محرم وإذا نظرت فلا تهملها ولا تتركها من غير حساب وعتاب وعقاب وجهاد وإلا هان عليها الامر وصار صغير وأخذ الذنب بعد الذنب وتخطئ الخطأ الجم لان الذنوب تولد أقرانها وأخواتها وقل لها تفكرى يا نفسى فى هذه الآية ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ

وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ [الإسراء: ٣٦] ففهمها هذه الآية وقل لها يا نفس ويحك أليس هذا الكلام قرآنًا يتلى وكلام المولى؟ وأخبرها أن هذه النعمة ما خلقت لهذا الحرام وجملة الآثام، إنما خلقت للحلال وطاعة ذى الجلال والشكر والعبادة فما هذا الذى تجاوزتى به حدك وتخرجين به عن طوع سيدك إن كان هذا الخروج عن جهلك فما أعظم مصيبتك لقلة علمك وكثرة شركك وبعدك وفجورك وأين أنت من قول سيدك سبحانه: **﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾** [فاطر: ٢٨] وإن كانت هذه الجرأة على الله فى معصيته عن علمك بأنها تجاوز من حدك فإن مصيبتك أعظم وأمرك أدهى وأطم إذ أنه لا حجة لك فقد علمت فلماذا تجاهلت وبأى حق اسرفت؟ وأين أنت من قوله سبحانه: **﴿ يا أيها الذين آمنوا لما تقولون ما لا تفعلون كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾**؟ وقوله النبى ﷺ: «أول من تسعر بهم النار يوم القيامة ثلاثة منهم عالم».

واشترط عليها أن تحفظك كذلك من عضو السمع فلا تسمع إلا حلالاً من ذكر وقرآن وتسبيح وآذان ونحوه وقل لها بلسان الحال يا نفس إن السوق قائمة وإن كل تاجر قد عرض سلعته وإن خالق الخلق ومدبر الأمر قد عرض سلعته وهى الجنة والأمر لك بالخير فاختارى مع من تتاجرين؟ مع الله فتكون لك السعادة ووافر الربح والفوز بالجنة حيث النعمة.

أم مع غيره ممن لا يملك لك نفعًا ولا ضرًا فتكون الحسرة والندامة على فادح الخسارة واشترط عليها أن تحفظك من عضو اللسان وقل لها يا نفس قد من عليك الله المنان بنعمة اللسان وجعله عضلة مرنة سهلة الحركة والدوران والتذوق والكلام فسبحان الحنان المنان فانظرى فيما تستخدمينه

وقد أمرك مولاك أن يكون فى ذكره وشكره وحسن عبادته فحذارى ثم حذارى من سوء استخدام هذه الآلة المرنة فإنها على مرونتها وسهولتها إلا إنها تكون سببًا كبيرًا لهلاك صاحبها إن لم يحفظها ومن سوء الاستخدام يمنعها فقد ورد فى الحديث الذى رواه البخارى عن معاذ ابن جبل « قال: قلت يا رسول الله: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال له ثكلتك أمك وهل يكب الناس على وجوههم فى النار إلا حصائد ألسنتهم »(١) واشترط عليها أن تحفظك من البطن فتتقى شره الطعام وأكل الحرام والربا والسحت ومال اليتيم وغيره فإن الله تعالى أوصى بذلك رسوله وأنبياءه فى قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾ [المؤمنون: ٥١] وقد ذم الله تعالى الحرام ونهى عن أكله فقال تعالى: ﴿ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾ [البقرة: ١٨٨] وإن النبى ﷺ ذكر فى حديثه: « يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا الطيب »(٢) وقال فى حديث آخر عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « اجتنبوا السبع الموبقات قالوا: يا رسول الله وما هن قال: الشرك بالله والسحر، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات »(٣) متفق عليه. ومعنى الموبقات المهلكات.

واشترط عليها أن تحفظك من الفرج فتتقى به أن تتعدى حدود الله من الحلال يقول تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ

(١) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وأخرجه (٤/ح ٢٤٠٦).
(٢) رواه مسلم وهو عن أبى هريرة رضى الله عنه.
(٣) أخرجه البخارى فى الفتح (٥ح ٢٧٦٦) وملم فى الإيمان (١/ ١٤٥٩٢).

﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٥ - ٧] واشترط عليها أن تحفظك من اليد فلا تبطش بغيرحق ولا تمد لسؤال لغير الله جل وعلا ولا تمد لسرقة أو لخمر أو فعل منهيٌّ عنه واشترط عليها أن تحفظك من القدم فلا تمش إلى معصية إنما تمشى بها إلى الصلوات الخمس فى جماعة ولمجالس العلم والذكر وأفعال البر جميعها فإذا تحققت فيها أمور المشارطة يبقى بعدها المراقبة على ما اشترط عليها.

السر الثانى المراقبة

فإذا وفق العبد فى مشارطة نفسه يبقى له مراقبتها على ما اشترط عليها لئلا تنقض عهدها وتخرق وعدها وتتعدى حدودها.

والمراقبة تكون فى سبعة أشياء: فى الطاعة، وفى المعصية، والتوبة، وفى المباح، وفى النعم، وفى البلاء.

أولاً: فى الطاعة :

فتبدأ فيه بنية ثم تتوسط بعدها الإخلاص ثم تنتهى بالإحسان فإذا قدمت النفس إلى عمل من أعمال الطاعة والبر يجب على العقل أن يراقبها فيه فينظر ما المقصود بعمل هذه الطاعة وما الدافع إليها أيكون المقصد والدافع إليها مرضاة الله أم مرضاة الناس وحب السمعة أو حرصًا على حظ من حظوظ الدنيا أو حظوظ النفس فإن كان المقصود بها وجه الله تعالى ومرضاته فيجب عليه أن يرغبها فى الإخلاص وإن كان المقصود به غير الله صار ذلك حظها من الدنيا وذلك بسبب ما شاب الإخلاص فى هذا العمل

من شوب الهدف والمقصد الدنيوى الزائف مثل الرياء، والسمعةُ لمرضاة الناس فالواجب إذا وقعت النفس فى هذه الذلة أن يدفعها بعيداً عن هذا الشوب الذى يعكر عليها إخلاصها فى العمل وكان أحد الصالحين وهو سفيان الثورى يضرب نفسه ويقول لها يا نفس أخلصى وتخلصى ولتقل لها يا نفس هل هناك غير الله أحب إليك مرضاته وقبوله للعمل سواه فتؤثرى إياه فى الطاعة عن الله.

فمن هنا كان حقًا على العبد قبل شروعه للعمل أن ينظر ما الذى حركه عليه ودفعه لفعله فإن كان المحرك إخلاصًا لمولاه أقبل وإن كان لسواه أحجم وقال رحمه الله: رحم الله عبداً وقف عند همه فإن كان لله مضى وإن كان لغير الله تأخر.

وإن لفضيلة المراقبة أهلا عرفوا قدرها وسعدوا بنيلها فهى فضيلة ليست لكل الناس وإنما أهل المراقبة قليلون ممن اختار الله واصطفى من عباده لأنها ليست بالأمر الهين إنما هى ثقيلة تحتاج إلى رجال.

وقيل دخل الشبلى على ابن أبى الحسين النووى وهو قاعد ساكن لا يتحرك من ظاهره شىء فقال له ممن أخذت هذه المراقبة والسكون فقال من نسور كانت لنا إذا أرادت الصيد رابطت رأس الجحر حتى لا يتحرك لها شعره.

وتكون المراقبة فى النعم والعطاء بالشكر عليها وأن ينسب العبد هذه المنة وتلك النعمة والعطية للمنعم سبحانه لأن كل شىء منه ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] وتكون المراقبة فى النعم بعدة أشياء نذكر

منها:

١ - الشكر عليها.

٢ - حسن استخدامها.

٣ - المحافظة عليها .

٤ - معرفة قدرها وقيمتها والتعرف على عظمة من أوجدها.

السر الثالث المحاسبة

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [حشر: ١٨] وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴾ [الأحزاب: ٧٠] وقال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] فهذه الآيات الكريمات إذا نظرنا إليها نجد أنها تشير إلى المحاسبة محاسبة العبد نفسه وأن المحاسبة صفة من صفات المؤمنين المتقين كما أخبر الحق سبحانه فى الآية فى خطابه للمؤمنين يحثهم على المحاسبة ﴿ **يا أيها الذين أمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله** ﴾[١] فهى صفة المؤمنين المتقين الأولياء الصالحين لله رب العالمين.

وهى صفة الأكياس العقلاء وأولى الألباب لقول النبى ﷺ فى الحديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها

---

(١) أخرجه الترمذى وأحمد وابن ماجه وأخرج الحاكم وصححه.

وتمنى على الله الأماني »(١) وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: أتيت النبى ﷺ عاشر عشرة فقام رجل من الأنصار فقال يا نبى الله من أكيس الناس وأحزم الناس؟ قال: أكثرهم ذكراً للموت وأكثرهم استعداداً للموت أولئك الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة» رواه ابن أبى الدنيا(٢) فطوبى لعبد فطن لنفسه واستيقظ من غفلته فعلم أن نفسه حقيرة ومقصرة فامسك بلجامها وساقها إلى طريق النجاه وحاد بها عن طريق الهلاك.
طوبى لعبد فطن أن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب بلا عمل فخاف على نفسه من الفوت والضياع فى الآخرة فوقف لنفسه محاسباً يحاسبها فى يوم العمل قبل يوم الحساب استعداداً منه لها وتهيئة ليوم الحساب وتقديراً لعظمته وهيئة ورهبة هذا اليوم الكبير الطامة الكبرى الذى لابد وحتماً لتجزى نفسه بماكسبت ويجزى فيه كل بما قدم يوم لا ظلم فيه من قدم شيء وجده طوبى لعبد فطن الدنيا مهما كثرت ومهما حلت وتزينت ومنها تزخرفت فإنها دار فرار وأن الآخرة دار قرار فأخذ الزاد من دار الفرار إلى دار القرار.

طوبى لعبد فطن أن الدنيا مهما طالت فهى ساعة وأن الآخرة ليست لها نهاية فتذكر لحظة كيف يغتنم هذه الساعة ليسعد ويفوز بدار ليست لها نهاية وهذه المحاسبة بفضل الله جلا وعلا تكسب العبد صفات غالية وفضائل عاليه نذكر منها:

---

(١) رواه ابن ماجه والترمذى وقال حديث حسن.

(٢) رواه بن أبى الدنيا فى كتاب الموت والطبرانى فى الصغير بإسناد حسن ورواه ابن ماجه بإسناد جيد ورواه البيهقى فى الزهد بلفظ آخر وهو الحديث السابق.

١ - النفس اللوامة

فإن المحاسب لنفسه المسترجع لها يصل به ذلك إلى اكتساب نفس لوامه والنفس اللوامة لها شأن عند الله كبير وهى نفس أحبها الله واقسم بها لعظمتها عنده وجميل قدرها فقال سبحانه فى سورة القيامة ﴿ **وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ** ﴾ [القيامة : ٢] .

٢ - وجوب توبة الله على صاحب هذه الصفة

لقوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا** ﴾ [النساء : ١٧] .

ففى هذه الآية الكريمة إخبار من الله بمن تجب عليهم توبته وأنها تجب من الله على صنف معين من الناس وهم الذين إذا فعلوا الذنب ندموا وخافوا سوء العقاب فتذكروا فبادرو بالحساب وبمحاسبة أنفسهم ولومها واسترجاعها والتوبة قبل أن يحاسبوا عليها فهرعوا إلى مولاهم وضرعوا إليه وخشعوا وخافوا وأعلنوا الإقلاع عن تلك المعصية فهؤلاء الصنف من الناس هم الذين وجبت عليهم التوبة من الله تعالى أى المغفرة والقبول .

٣ - التقوى

فإن المحاسب لنفسه المسترجع لها التائب يكتسب بذلك درجة رضية وفضيلة كريمة وهى التقوى لقوله سبحانه فى ذلك : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ** ﴾ [الحشر : ١٨] فإن المحاسب لنفسه **إنما يحثها على تقوى الله تبارك وتعالى وطاعته .**

٤ – الكياسة

وهى الفطنة وحدة الذكاء وكامل العقل لقوله ﷺ : « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت »(١) .

٥ – هى صفة من صفات أهل الجنة .

فإن المحاسبة من عظيم قدرها ومن جميل فضلها أنها صفة من صفات أهل الجنة فإن أهل الجنة كما تخلقوا بها وقاموا دائمًا أبدًا بالمحاسبة والملامة لأنفسهم على تقصيرهم ونالوا بهذه الصفة صفة المحاسبة المقامات العالية والدرجات السامية والقرب من رب العالمين وأخبرنا بذلك الحق سبحانه فى كتابه العزيز فقال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ** ﴾ [آل عمران : ١٣٥ ، ١٣٦] .

كيفيتها :

قال عمر بن الخطاب : – رضى الله عنه – حاسبوا انفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم .

وقال حكيم : واعلم ان العبد كما ينبغى ان يكون له وقت فى أول النهار يشارط فيه نفسه كذلك ينبغى أن يكون له ساعة يطالب فيها نفسه فى آخر النهار ويحاسبها على جميع ما كان منها كما يفعل التجار فى

---

(١) أخرجه الترمذى وأحمد وابن ماجه وأخرجه الحاكم وصححه على شرط البخارى.

الدنيا مع الشركاء فى آخر سنة أو شهر أو يوم.

وقال أحد الحكماء يصف معنى المحاسبة

ومعنى المحاسبة أن ينظر فى رأس المال وفى الربح وفى الخسران ليتبين له الزيادة من النقصان فرأس المال فى دينه الفرائض وربحه النوافل والفضائل وخسرانه المعاصى ويحاسبها أولاً على الفرائض فإذا ارتكبت معصية اشتغل بعقابها ومعاقبتها ليستوف ما فرط.

وقيل كان توبة بن الصمة بالرقة وكان محاسبًا لنفسه وحسب يومًا فإذا هو ابن ستين سنة فحسب أيامها فإذا هى إحدى وعشرين الف يوم وخمسمائة يوم فخرج وقال يا ويلى أن القى الملك سبحانه بإحدى وعشرين ألف ذنب وخمسمائة ذنب كيف وفى كل يوم عشرة آلاف ذنب ثم خر مغشيًا عليه فإذا هو ميت فسمعوا قائلاً يقول يا لها ركضة إلى الفردوس الأعلى.

فياولى الله اعلم أن المحاسبة كنز عظيم فلا تضيعه ثم تندم عليه فبادر ثم بادر ثم بادر عبدالله لتحظى بفضيلة المحاسبة.

١ - المعاقبة

وهى معاقبة النفس بعد محاسبتها على تقصيرها، فينبغى إذا فرغ من محاسبته نفسه فإذا وجد منها تقصيرًا أو مخالفة أو اقترفت ذنبًا أسرع فى معاقبتها على ذلك ولا يهملها ويتركها بدون معاقبة وإلا شردت وتجرت وسهل عليها مقارفة الذنوب ويعسر عليهامفارقتها فمن هنا كان للمعاقبة دورًا فعالاً لردعها وفطامها والمعاقبة تكون فيما يباح به المعاقبة للنفس شرعًا

ولا يجوز معاقبتها بما يخالف الشرع ولا يرضاه فتكون معاقبتها فى تزويدها بكثرة الاوراد اليومية أو إجبارها على القيام بالليل والسهر وحرمانها من النوم أو على مدارسة باباً من العلم أوعلى انفاقها صدقة أو تعزيزها بالصوم ونحوه ولكن كونه أن يعاقبها العبد بضرب مبرح أو بجلد أو بقطع أو بشح ونحوه فهذا ما لا يجوز لأن فيه التعدى على ملك الله وصنعته وفيه المخالفة الشرعية لأن هذه الأعضاء الحميدة أمانة استودعها الله عبده فى أرضه فوجب عليه حفظها وصونها ولا يتصرف فيها بما يروق له أو على هواه وفيه القلد . فيها وللمعاقبة من الفضائل العظيمة ما يرغب فيها ويقرب لفعلها فمن فضائلها :

١ - الزكاة بمعنى زكاة النفس وهوتطهيرها من كل شوب يشوبها عن إخلاصها لمولاها سبحانه قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ [الشمس : ٧-١٠] ففى المعاقبة زكاة النفس وطهارتها وصونها ورقيها وعلو قدرها وزكاتها تلك مقضية إلى فلاحها لا محالة بإذن الله تعالى .

٢ - فضيلة التادب مع الله ومع الناس .

فيكون التادب مع الله بصاعته وحسن عبادته والانقياد إلى حكمه وشرعه والتادب مع الناس باللين لين الجانب والرحمة والرأفة والموالاة والعادة فيوالى أولياء الله ويعادى أعداءه .

٣ - المصالحة وتجديد العهد مع الله تعالى

وهى التجارة الرابحة والفوز فى الدنيا بمغفرة النفس وإقبال الله على عبده يقول سبحانه: ﴿ إلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ [الفرقان: ٧٠].

السر الخامس المجاهدة

والمقصود بالمجاهدة مجاهدة النفس فى دفع الهوى عنها والشهوات حتى تستقر على طاعة الله تعالى.

والمجاهدة هى بذل ما فى الوسع للتحصل على غاية ومعناها فى المصطلح الفقهى هى بذل غاية ما فى الوسع ليحصل ظن بحكم شرعى.

ومعناها فى علم النفس: هى كل نشاط يبذله الكائن الحى الواعى جسميًا أو عقليًا ويهدف عادةً إلى غاية.

وهل هناك غاية هى أعلى وأسمى وأعلى من الله وقربه ورضاه وجنته فإن هذه الغاية وذلك المطلب هى غاية ومطلب العقلاء الفطناء العلماء فطوبى لمن سعى فى تحقيقه وحسن مآب ولهذه الفضيلة المجاهدة من الفضائل الكثير نذكر منها:

فضل المجاهدة:

١ - الاستقامة: فإن المجاهدة مجاهدة العبد نفسه موصله إلى الاستقامة على طاعة الله بدليل قوله تعالى: ﴿ إنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ (فصلت: ٣٠] فلا يزال الرجل مستقيمًا ما كان مجاهدًا لنفسه من، أجل التحصيل على أسمى غاية فى الوجوه وهى الله

ورضوانه .

٢ – حياة هنية ومنية رضية .

فاعلم يا ولى الله أن من فضل المجاهدة هذا الفضل العظيم الغالى الذى هو ببركة المجاهدة مجاهدة النفس فى دفع الهوى لتستقر على طاعة مولاها والذى عقل عن تحقيقه واشتغل كثيراً من الناس إلا من رحم ربى وهدى وتركوه وراء ظهورهم وهو الحياة الهنيئة والميتة الرضية .

فالمجاهدة سببًا للحياة الهنية وسعادة العيش حلاوته ونعيمه وحيرته وإن كان بعض الناس يرون الظاهر فى الولى غير ذلك لأنه يتحلى بالزهد والورع لمولاه عن الدنيا إلا أنه يحيا فى السعادة الحقيقية التى لو علموها لتنافسوا عليها ليرتاحوا وليهنئوا بحياتهم فى الدنيا ولو كشف الناس عن قلب الولى وتعرفو على ما هو فيه من السعادة والنعيم والجنة الخالدة الدائمة لحاربوه عليها ويعلموا بالحقيقة أنه هو السعيد الحقيقى لأن محل السعادة والنعمة والحبرة فى الأيمان بالله تعالى ومحل هذا الإيمان القلب والقلب لا سلطان لأحد عليه إلا الله إذًا فقد يسلب من الغنى ماله وقد يصيب القوى مرضًا يضعفه فيسلبه السعادة بقوته وكذا الملك فى ملكه وكذا كل من يملك شيء من حطام الدنيا فحتمًا إما أن يتركه هو أو يتركه حاجته أما المؤمن السعيد فلا سلطان لأحد على قلبه لذا فهو فى أتم السعادة فى الدارين الدنيا والآخرة فطوبى لقلوب تعرفت بالحقيقة على عظة ربها واستحضرت هذه العظة بداخلها فانشغلت بلذة ذكره وحبه والتفكر فى عظمته وقدرته فجاهدت من أجل رضاه وحسن مجيئه ولقائه وهل هناك على وجه البسيطة نعمة أنعم من نعمة الإسلام ولذا أحلى من لذة الإيمان

ومتعة أفضل وأعظم متعة الأنس بالله جل وعلا ودرجة أعلى من درجة الولاية.

آه لو عرف الناس هذه الأسرار وأدركوا هذه الأخبار واطلعوا على هذه الأنوار لباعوا لأجلها الغالى والنفيس ولذهلوا عن حاجاتهم فى دنياهم وزهدوها إلى هذه المنة وتلك الحبرة وهذه والأسرار والأنوار ليحصلوا على هذا النعيم المقيم وتلك الحبرة الدائمة والجنةالخالدة والسعادة التامة والراحة الأبدية فى معاملة رب العباد والتجارة معه فهم بذلك أحياء ولا حياة للقلوب والنفوس بغيرها لأنها حقًا مادة الحياتين الدنيا والآخرة ﴿ **وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾ [العنكبوت: ٦٤] فإن هذه السعادة والنعيم والحبرة لا يستطيع أن يقطعها عليهم أو يهدمها أو يفسدها كائن من كان لا جبارًا ولا الموت نفسه لأن الموت لا يهدم محل معرفة الله فقلوب الأولياء حية لا تموت خالدة سرمدية بمعرفة الله قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ** ﴾ [النحل: ٣٢] وقوله تعالى: ﴿ **قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ** ﴾ [يس: ٢٦-٢٧].

وجاء فى الحديث الذى رواه البخارى: عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره لقاءه: قالت عائشة أو بعض أزواجه[1] يا رسول الله إنا لنكره الموت. قال: ليس ذلك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر بنعيم الله وكرامته فليس شيء

(١) رواه البخارى.

أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه».

السر السادس المعاتبة

والمعاتبة لها فضل كريم إذ أنها صفة من صفات أولياء الله الصالحين وهى معاتبة النفس على ما فرطت فيه وقصرت من الطاعة وما سبق من الذنوب كما يفعل التاجر مع الشريك بعد المشارطة والمراقبة والمحاسبة والمعاقبة والمجاهدة يبقى له أخيرًا أن يعاتبه على التفريط والتقصير عتابًا يرجوا منه إصلاحًا وإصلاحًا يرجو من بعده استقامة وإخلاصًا والعودة إلى الصواب فإنها تكون سببًا بإذن الله عن انتهاء النفس عن غيها وشرودها وتكون المعاتبة تذكرة لها بعدها وآية لها تقف عليها مقتدية متأسية عاملة للخير وجميع هذه الأسرار الستة هى أسرار الولى مع نفسه وأساليب لتربية نفسها وتقويمها لتقوم على المقصد الصحيح الذى خلقت له وهو العبادة.

ثانيًا أسرار الأولياء مع الله

وأما عن أسرار الأولياء مع الله سبحانه فما أجمل الحديث وأحلاه وما أمتعه وأتقاه. إذ أننا سوف نعيش بإذن الله من خلال هذا المقام فى الجنة بعينها ننهل من خيرها ونقطف من ثمرها ونشرب من أنهارها ونكرع من حياضها ونلبس من حريرها وسندسها ونتحلى من ذهبها وحليها، سوف

نعيش بفضل الله تعالى فى هذا المقام فى جنة الأسرار الخالدة وجنة الحب الدائمة والمتصلة بين العبد وبين مولاه سبحانه عبر هذه الوريقات من خلال سردنا وكشفنا لهذه الأسرار الطيبات المباركات.

فكما أن للعبد أسرار مع نفسه لتقويمها يعدها زاداً لآخرته وبرهاناً لمحبته ربه آملاً أن تكون له سفينة نجاته وقربه لمولاه وسبباً لعلو درجته وإرتفاع مكانته من الله سبحانه فإن له أيضاً مع مولاه الحق سبحانه أسرار بل أنوار كريمات جليلات عظيمات ونذكر منها سبعة أسرار وهن:

١ – سلامة القلب.
٢ – سلامة الإسلام.
٣ – سلامة الإخلاص.
٤ – سر الإلهام..
٥ – سر الحكمة والفراسة.
٦ – سر الهيبة والوقار.
٧ – سر السعادة وراحة البال.

السر الأول

سلامة القلب :

يجب أن يعلم كل موحد سالك هذا الطريق طريق الحق على أوامر سيده ومنهج نبيه ﷺ أن يعلم بأن سلامة القلب هى النقطة المركزية، والمرتبة العالية، والدرجة الأولى فى التعرف على الله تعالى وخشيته ومعاملته وسلامة القلب بداية رحلة طويلة مديدة آخرها الجنة بإذن الله تعالى والفوز العظيم والقلوب هى محل معرفة الله تعالى وخشيته

وسلامتها هى من أهم ما يجب السعى إليه والحرص عليه لأن بسلامة القلب ينمو قدر العبد عند ربه وتعلو درجته وحيث أن الفوز والفلاح الأخروى موقوف على سلامته كان الاهتمام بذلك واجب يقول الحق سبحانه: ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]. فقد قال ربنا قولاً فصلاً حكمًا عدلاً بأن المال والبنون أيما كانا لا ينفعان العبد ما كان قلبه خرب أو مشوب بحب الدنيا والركون إليها وهذه المهمة مهمة إصلاح القلب مهمة صعبة تحتاج إلى رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه. فيتحلوا بالصبر والمثابرة والمرابطة فى ميدان الشهوات والمحبوبات ويرفعوا رايه نصر دفعهم المكروهات لأجل إصلاح قلوبهم.

ونظراً لأن هذه المهمة هى مهمة الرجال فقد اعتنى بها واتصف بها أنبياء الله ورسله وها نحن نقرأ فى كتاب الله تعالى عن جهبذٍ من جهابذة الرجال وعملاقٍ من عمالقة إصلاح القلوب قام بهذه المهمة حسن قيام وتحمل لأجلها المشقات وكيد المكيدين له.

لأنه قدر لها قدرها وعرف مدى فضلها وجميل أجرها فسعى إليها فمدحه المولى فى كتابه العزيز وذكى سعيه فى إتمام مهمته هذه فى كتاب يتلى إلى يوم القيامة الا وهو خليل الله إبراهيم عليه السلام إذ مدحه ربه لما قام به من إصلاح لقلبه بعدما أثنى على نبيه نوح قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصفات: ٨٣، ٨٤].

وكان عليه السلام يعلم أن سلامة القلب ركن ركيز وأمر محتوم وقضية

لزمت الوجوب فكان عليه السلام رغم سلامة قلبه إلا أنه كان يخاف عليه من التحول والفتنة أو التقصير فى مهمته هذه فكان يدعو ربه فى ذلك كما أخبرنا مولنا سبحانه على لسانه فقال: ﴿ **وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** ﴾ [الشعراء: ٨٧ – ٨٩] فهذا خليل الله ونبيه إبراهيم وحرصه على سلامة قلبه وخوفه من التحول أو الفتنة ودعائة مولاه بالنجاة والحفاظ وعلى أن يحفظ عليه هذه النعمة نعمه سلامة القلب وكذا كل الانبياء كانوا على هذا الدرب قاموا بذلك الدأب كانوا شغلهم الشاغل إصلاح قلوبهم وقد ورد عن نبينا محمد ﷺ أنه كان يقول فى أكثر دعائه «اللهم إنى أسالك قلبًا سليمًا».

ثانيًا: مما يسلم القلب:

جاء فى الجواب الكافى لابن القيم فى سلامة القلب ما مختصره. ولا تتم له سلامة مطلقًا حتى يسلم من خمسة أشياء: من شرك يناقض التوحيد، وبدعة تخالف السنة، وشهوة تخالف الأمر، وغفلة تناقض الذكر، وهوى يناقض التجريد والإخلاص. وهذه الخمسة حجب عن الله وتحت كل واحد منها أنواع كثيرة تتضمن أفرادًا لا تنحصر، انتهى. ويسلم القلب أيضا من «أم الخطايا، وهى أخطر شىء على القلوب وهى الغفلة، فما من خطيئة إلا ونسبتها إلى الغفلة فإنها ما إن تحل فى قلب صاحبها إلا ولدت فيه أولادًا، كل ولد لها أخطر وأشد على القلوب من الآخر، ونذكر منها الشرك. وعليه الشك والنفاق والرياء والكبر والحقد والحسد والعجب والغل والخيلاء والمكروالخداع وكلهم نسبة إلى الغفلة.

وقد ذم المولى سبحانه وتعالى الغفلة ذمًا شديداً ونهى عنها رسول الله

ﷺ وعباد الله جميعًا فقال تعالى: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾

[الأعراف: ٢٠٥].

وبين سبحانه أن النار جعلت لهؤلاء الغافلين والمشركين بسبب الغفلة فسوف يذوقو أشد العذاب سبب غفلتهم عن الله وسبب استغنائهم عن عقولهم وتعطيلها عن التفكير من عظمة الله وتعطيلهم قلوبهم من التدبر والخشية وكذا أبصارهم وأسماعهم من النظر فى آيات الله وسماع ذكرة فصارو مثل البهائم والحيوانات بل هى أعقل منهم وهم أضل منها فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٩] وقوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ [الروم: ٧] وقوله تعالى عن آل فرعون الغافلين: ﴿ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٦] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴾ [يونس: ٧] وقوله تعالى ناهيا عن طاعة واتباع أهل الغفلة أو حذو طريقهم ﴿ وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٧].

فمن خلال هذه الآيات الكريمات المباركات يتبين لنا أن الغفلة خطر على القلوب عظيمٌ ومرض خبيث يفتك بالقلب وصاحبه تدريجيًا وأول ما تلد الغفلة فى قلب صاحبها تلد إتباع وحب الهوى

لقوله تعالى : ﴿ واتبع هواه وكان أمره فرطًا ﴾ أى دمارًا وشتاتًا وضياعًا .

٢ – ضلاله عن سبيل الله .

٣ – نسيان يوم الحساب .

٤ – عبادة الهوى من دون الله تعالى .

ففى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف : ٢٨] جاء فى تفسيرها أنها نزلت هذه الآية فى عُيينة بن محصن وأصحابه وكان من سادة مضر وأشرافها فلما كلمهم الرسول فى الإسلام دخلوا عليه وعنده جماعة من الفقراء وكان منهم سلمان الفارسى وكانوا يلبسون وضيع الثياب فقال له أما يؤذيك ريح هؤلاء؟ فنحن سادة مضر وأشرافها وإن أسلمنا أسلم كل الناس ولكن ما يمنعنا من الإسلام واتباعك إلا هؤلاء الفقراء فنحهم عنك؟ أو اجعل لنا مجلس ولهم مجلس فنتبعك فلما هم الرسول أن يجيبهم نزلت عليه هذه الآية ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطًا ﴾ فإنه لا بسبب اتباع الهوى يصير الأمر شتاتًا وضياعًا ودمارًا وضنكًا وقد ورد فى الحديث الصحيح يؤيد ذلك الكلام عن النبى ﷺ أنه قال : « ثلاث مهلكات : شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه » فهذه واحدة أما الثانية والثالثة وهما الضلال عن سبيل الله ونسيان يوم الحساب فقد جاء فى القرآن الكريم تحذيرٌ شديدٌ ونهى أكيدٌ من الله جل وعلا لنبى من أنبيائه وهو داود ما ملكه وخليفة فى الأرض عن اتباع الهوى وبين له أنه يضله عن سبيل الله وينسيه يوم الحساب ويؤدى بمن فعل ذلك إلى العذاب

الشديد يوم القيامة فقال تعالى فى سورة ص ﴿ **يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب** ﴾ فلو أننا نظرنا إلى هذه الآية الكريمة نجد أن الخطاب من الله تعالى إلى نبى من أنبيائه وخليفة فى أرضه على عبادة فيهاه أن يغده ملكه ويلهه التكاثر فى ما آتاه. فيشغله عن ربه وينسيه ذكره فيضله عن سبيل الله وينسيه يوم الحساب فقال تعالى: ﴿ **ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله** ﴾ فيضلك عن دين الله القويم وشرعه المستقيم. وذكر سبحانه جزاء وعقاب من كان هذا هو حالهم فقال تعالى: ﴿ **إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب** ﴾ لماذا صار العذاب شديداً وصاروا فى أشد الكروب والأحوال فى قرار النار لأنهم نسوا يوم الحساب ولو آمنوا لأعدوا له الزاد ليوم المعاد وكل هذه المصائب والمهلكات بسبب اتباع الهوى الذى هو وليد الغفلة.

واتباع الهوى يوصل إلى الكفر والعياذ بالله والشرك بالله لقوله تعالى: ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ** ﴾ [الجاثية: ٢٣].

وقد وردت أحاديث كثيرة عن النبى ﷺ يحذر فيها من اتباع الهوى ويبين سوء عاقبته وأن متبع هواه أشد عذابًا وأقبح ذنبًا عند الله من عبادة الأصنام الشمس والقمر والدواب فقد ورد فيما رواه الطبرانى فى الكبير عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « ما تحت ظل السماء

من إله يُعْبَد أعظم عند الله من هو متبع »(١).

وأما عن جزاءُ فضل من خالف هواه وابتغى فى هذه المخالفة طاعة مولاه وطاعة رسول الله ﷺ فإن أجره عظيم ولو كشف له عنه فى دار الدنيا لهانت عليه الدنيا بما فيها ولتأهب بذلك لهذا الأجر العظيم فقد أخبرنا عن ذلك المولى سبحانه فقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ [النازعات: ٤٠].

ماذا إن لم يسلم القلب أو تهاون صاحبه فى سلامته؟ جاء فى الجواب الكافى لابن القيم فى بعض عقوبات المعاصى للقلب الغافل ما مختصره.

١ - الختم على القلب:

الختم على القلوب والأسماع والغشاوة على الأبصار والأقفال على القلوب وجعل الأكنة عليها والدين عليها والطبع وتقليب الأفئدة والأبصار والحيلولة بين المرء وقلبه وإغفال القلب عن ذكر الرب ونسيان الإنسان نفسه وجعل الصدر ضيقًا حرجًا كأنما يصعد فى السماء و زيادة مرض القلوب وإركاسها وإنكاسها وإركانها بحيث تبقى منكوسة كما ذكر الإمام أحمد عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه أنه قال: القلوب أربعة: فقلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن، وقلب أغفل فذاك قلب الكافر، وقلب منكوس فذلك قلب المنافق، وقلب تمده مادتان مادة إيمان ومادة نفاق وهو لما غلب عليه منها.

(١) رواه الطبراني في الكبير عن أبى أمام.. البلاهى.

٢ - خسف القلب .

ومنها الخسف بالقلب كما يخسف بالمكان وما فيه فيخسف به إلى أسفل السافلين وصاحبه لا يشعر وعلامة الخسف به أنه لا يزال جوالا حول السفليات والقاذورات والرذائل كما أن القلب الذي رفعه الله وقربه إليه لا يزال جوالا حول العرش وقال بعض السلف إن هذه القلوب جوالة فمنها ما يجول حول العرش ومنها ما يجول حول الحش

٣- مسخ القلب :

ومنها مسخ القلب فيمسخ كما تمسخ الصورة فيصير القلب إلى قلب الحيوان الذي يشابه الإنسان في فعله فمن القلوب ما يمسخ علي قلب خنزير لشدة شبه صاحبه به ومنها ما يمسخ علي خلق قلب كلب أو حمار أو حية أو عقرب وغير ذلك.. وهذا تأويل سفيان بن المغيرة في قوله « وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم » قال منهم من يكون علي أخلاق السباع العادية ومنهم من يكون علي أخلاق الكلاب والخنازير وأخلاق الحمير ومن يتطوس في ثيابه كما يتطوس الطاووس في ريشه ومنهم من يكون بليدا كالحمار ومنهم الحقود كالجمل ومنهم من يروغ كما يروغ الثعالب وهلم جرا.

٤- نكس القلب

ومنها نكس القلب حتي يري الباطل حقا والحق باطلا والمعروف منكرا والمنكر معروفا

٥- وهى الأشد (حجب القلب عن الرب) سبحانه

ومنها حجاب القلب عن الرب في الدنيا والحجاب الاكبر يوم القيامة كما قال تعالي : ﴿ **كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ** ﴾ [المطففين: ١٤، ١٥]

فهذه كلها داءاتْ خطيرة تصيب القلب الغافل المتهاون في اصلاحه صاحبه وقد صدق الله إذ يقول :﴿ **يوم لا ينفع مالا ولا بنون إلا من أتي الله بقلب سليم** ﴾

السر الثانى

سلامة الإسلام

والمقصود بسلامة الإسلام هو تحقيق الإسلام قولاً وعملاً خالصاً لله جل وعلا في الفرد.

تجريد التوحيد لله سبحانه كما ينبغي علي العبد وكما يرضي الرب سبحانه فليس الإسلام مجرد كلمات يتلفظ بها العبد كل يوم وهو لا يعي أو يدرك حقيقتها أو جوهرها أو لا يقدر لها قدرها ولكن ان يتعرف العبد أو لا علي حقيقة الإسلام ثم يطبق ذلك قولا وعملا خالصا لله جل وعلا.

ويجب ان يتعرف كل مسلم ما هي أركان الإسلام وما هي نواقضه ليقوم بأركانه ويتحري لنفسه ويتق الله ما ينقض إسلامه.

والسعي لهذا المقصد سعي مبارك وجهد مقبول إن شاءا لله وذلك نظرا لانه مطلبا صحيحا للعلم النافع الموصل إلي خشية الله تعالي وحسن عبادته وهو تحقيق الكلمة الطيبة لا إله إلا الله محمد رسول الله فهي الأصل الذي يبني عليه كل الاركان.

جاء في الجواب الكافي ما مختصره « في كلمة لا إله إلا الله » وهي الكلمة التي قامت بها الأرض والسماوات وفطر الله عليها جميع المخلوقات وعليها أسست الملة ونصبت القبلة وجردت سيوف الجهاد وهي محض الله علي جميع العباد وهي الكلمة العاصمة للدم والمال والذرية في هذه الدار والمنجية من عذاب القبر وعذاب النار وهو المنشور الذي لا يدخل أحد الجنة إلا به والحبل الذي لا يصل إلي الله من لم يتعلق بسببه وهي كلمة الإسلام ومفتاح دار السلام وبهذا انقسم الناس إلي شقي وسعيد ومقبول وطريد وبها انفصلت دار الكفر من دار الإيمان وتميزت دار النعيم من دار الشقاء والهوان وهي العمود الحامل للفرائض والسنة « ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة »(١).

أما عن حقيقة الإسلام فهي

١ - أنه دين التوحيد بوجود إله خالق واحد مستحق للعبادة وحده دون سواه.

٢ - الإسلام لا يفرق بين الرسل وإنما يجمع بينهم وخاتمهم محمد صلي الله عليه وسلم.

٣- الإسلام دين واضح وبَيِّن وكامل فهو لا يؤمن بالخرافات والمعتقدات الفاسدة والفلسفات المعقدة.

٤- الإسلام دين النظام للحياة البشرية في مختلف مجالاتها.

٥- الإسلام لا يفصل بين المادة والروح فصلا كاملا.

---

(١) البخارى ومسلم فى الصحيحين.

٦- الإسلام عقيدة قبل ان يكون شريعة.

٧ - الإسلام يدعو إلى العلم ويشجع على التطور العلمى النافع(١).

فهذه كلها حقائق قد أقرها الإسلام وهى المفهوم الصحيح فى الإسلام وأما عن أركان الإسلام فهى خمسة أركان بل خمسة أعمدة ودعائم وجب على كل مسلم القيام بهن جميعهن وهذه الأركان الخمسة وردت فى الحديث المشهور الذى ذكره النووى فى الأربعين وذكره ابن رجب الحنبلى المقدسى فى جامع العلوم والحكم وهو موجود فى الصحيحين البخارى ومسلم عن أبى عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بنى الإسلام على خمس شهادة ان لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وإيقام الصلاة إيتاء الزكاة وحج البيت و صوم رمضان»(٢)، قال صاحب الأربعين وهؤلاء الخمس من أتى بهن فقد أتم إسلامه كما أن البيت يتم بأركانه كذلك الإسلام يتم بأركانه وقال ابن رجب والمراد من هذا الحديث أن الإسلام مبنى على هذه الخمس فهو كالبيت لا يتم بناؤه إلا بأركان وأعمدة، فالإسلام البيت والخمسة أركان أعمدة هذا البيت، فإذا هدم منها ركن واحد هدم البنيان قال وهو قائم لا ينقض ذلك بخلاف نقص الدعائم الخمس فإن الإسلام يزول فقدها جميعها بغير أشكال»(٣).

---

(١) راجع كتيب توجيهات إسلامية للفرد والمجتمع.

(٢) مراجع كتيب توجيهات إسلامية للفرد والمجتمع.

(٣) ذكره الإمام النووى فى أربعين (ص ١٦ / ح ٣) وأخرجاه فى الصحيحين من رواية عكرمة بن خالد بن عمر رضى الله عنهما وخرج حديثه أيضاً أحمد فى المسند (٤ / ح ٦٤) لإسناده صحيح.

ولهـذا الإسـلام نواقض إذا فـعل العـبـد منهـا واحـدة انتـقض إسـلامـه وهي :-

١ - دعاء غير الله بقصد العبادة والقربى كدعاء الأنبياء والأولياء والملائكة والإنس والجن لقوله تعالى: ﴿ وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [يونس: ١٠٦]، وقول النبى ﷺ فيما رواه البخارى فى صحيحه: « من مات وهو يدعو من دون الله ندًا دخل النار ».

٢ - إنكار ركن من أركان الإسلام المعروفة كالصلاة والزكاة والصوم والحج أو إنكار ركن من أركان الإيمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

٣ - اشمئزاز القلب أو شكه أو ظنه فى توحيد الله جل وعلا لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الزمر: ٤٥].

٤ - الاعتماد والتوكل على غير الله لقوله سبحانه: ﴿ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٨٤].

٥ - الطواف حول قبر أو ضريح أو غيره بنية التعبد لانه لا يجوز إلا بالكعبة لقوله سبحانه: ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [الحج: ٢٩].

٦ - النذر لمخلوق غير الله بنية التقرب العبادة له لقوله تعالى: ﴿ رَبِّ إِنِّي

نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ [آل عمران: ٣٥].

٧ – الاستهزاء بشيء من القرآن أو الحديث الصحيح والرسول أو المؤمنين لقوله تعالى: **﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾** [التوبة: ٦٦].

٨ – الإيمان ببعض الكتب إنكار بعضها أو ببعض الرسل وإنكار البعض لأن ذلك يوجب الردة عن الإسلام لقوله تعالى: **﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾**

[البقرة: ٨٥].

٩ – الارتداد عن الدين لقوله تعالى: **﴿ ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة أولئك هم الخاسرون ﴾**.

١٠ – إنكار اسم من أسماء الله أو صفة من صفاته أو فعل من افعاله الثابتة فى القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة.

فهذه بعض نواقض ومبطلات الإسلام الذى اكتفيت بسردها رجاء البعد عنها وعدم الوقوع فى واحدة منهن فإن سلامة الإسلام فى تحقيق الإسلام قولٌ وعملٌ وتحقيق الإيمان قولُ وعملُ والبعد عما ذكرناه من مبطلات الإسلام والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل.

السر الثالث

سلامة الإخلاص

والمقصد بسلامة الإخلاص هو تحقيق الإخلاص لله وحده مع المحافظة والمعاهدة عليه قال تعالى: ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** ﴾ [البينة: ٥].

ومعنى الإخلاص هو الصفاء والنقاء من أى شوب يشوبه كصفاء اللبن الخالص فنقول لبن خالص: أى نقى وصافى من كل شوب يغيره من خلاصة ونقول دين خالص أى دين نقى صافى ليس فيه شوب يشوبه ويغيره يقول الحق سبحانه: ﴿ **ألا له الدين الخالص** ﴾، والإخلاص فضله عظيم وأجره جزيل إذ أنه من مقامات السالكين ومطية الناجين وذخر للمحققين. والإخلاص لكى يتحقق فى العبد فله شروط هى: -

١ - النية.

٢ - العمل.

٣ - تحقيق العمل به.

فإن العمل بغير نية عناء، النية بغير إخلاص رياء، والإخلاص من غير تحقيق هباء قال تعالى: ﴿ **وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً** ﴾، فيبدأ تحقيق الإخلاص من النية. والنية واجبة كما قال العلماء

وكرهوا التلفظ بها ويتبع النية العمل فيصير العمل إلى ما قد سُبقت عليه النية ثم يتبع العمل الإخلاص فيه وهو تنقية وتصفية وتمحيص ودفع كل شوب يشوبه كالرياء والسمعةوالفخر والمدح والاعجاب ونحوه فلا ينبغى به إلا وجه الله وحده لان الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا له وحده لانه « أغنى الاغنياء عن الشرك ثم يتبع هذا الإخلاص التحقيق أى إشهار العمل وتحقيق الإخلاص فيه وخير الأعمال المخلصة ولو كانت قليلة فقد قال النبى ﷺ لمعاذ بن جبل عندما أرسله لليمن أخلص دينك يكفيك القليل من العمل » .

والإخلاص يضاد الشرك فمن لا يخلص فهو يشرك والإخلاص خلاص النفس مما يأخذها عن الصفاء النقاء من المتعلقات المادية الذائفة إلى العلاقة الواحدة الوثيقة الخالصة لله وحده سبحانه .

وكان معروف الكرخى يضرب نفسه ويقول يا نفسى أخلصى وتخلصى وقال أبو سفيان طوبى لمن صحت له خطوة لا يريد بها إلا وجه الله تعالى، والمخلصين هم أقرب الناس إلى الله لانهم لما قصدوا عبادته وطاعته وقدموا الاعمال صار كل منهم لا باعث عليه ولا مطلب له إلا فضيلة القرب من الله تبارك وتعالى فدأب يعمل جادًا مجتهدًا لذلك المطلب ويصبر عليه صبرًا جميلاً .

فصاروا فى جنة الإخلاص أحياء رجالاً اقوياء جعلنا الله منهم أجمعين آمين .

السر الرابع

نور الوجه وألفته

وهذا النور الذى يلقيه المولى سبحانه فى وجوه وقلوب أوليائه الصالحين إنما هو آية وعلامة من علامات محبته ورضاه سبحانه عليهم.

ومن حكمة الله فضله ان ذلك النور الربانى يكون ظاهرى فى وجوه أوليائه فترى الواحد منهم مستتير الوجه كأنه القمر ليلة كماله وذلك ثابت فى الكتاب والسنة ففى الكتاب قوله تعالى: ﴿ **سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ** ﴾ [الفتح: ٢٩]، وكلمة سيماهم أى علاماتهم فمن ضمن علاماتهم التى تكون فى وجوههم علامة ما يلقيه الله من النور فتصير وجوههم معروفة مميزة مألوفة محبوبة لهذا النور وقد ورد فى الحديث رواه الطبرانى أن النبى ﷺ قال: «إن لله عباداً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله قالوا أخبرنا من هم وما أعمالهم فعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا فى الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ثم قرأ: ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤].

وكان الحسن البصرى أسمر اللون إلا أنه كان شديد نور الوجه فلما سألوه عن ذلك النور الذى يرونه فيميزه على غيره بالوقار بمجرد النظر

فى وجهه وفى وجوه العارفين فقال لاننا خلونا بالله فى ليلنا أى بصلاة القيام فكسا الله عز وجل من نوره فى قلوبنا ووجوهنا فازدادت نوراً بنور الله وإن أهل الليل فى ليلهم هم قائمون ألذ من أهل اللهو فى لهوهم وهم لاهون وكان رسول الله ﷺ وهو القدوة والأسوة الحسنة لنا كان ظاهر الوضاءة شديد نور الوجه وكأن وجه مستتيراً كأنه القمر فى كماله .

السر الخامس

الإلهام

والإلهام سر من الاسرار المكنونة بين العبد وبين مولاه وخالقه سبحانه هذا السر يهبه الله من يشاء من عباده لمن أحب معنى الإلهام هو تحديث القلب كأنه يوحى إليه فقد يعلم مدارك الأشياء وخوارقها وذلك ثابت فقد تحدث عن الإلهام والملهمون المصطفى ﷺ .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «لقد كان فيما قبلكم من الامم مُحَدثون فإن يكن فى أمتى فإنه عمر»[١]، رواه البخارى ومسلم وقال بن وهب «مُحَدثون» أى ملهمون .

ولقد صدق رسول الله ﷺ فيما أخبر عن إلهام عمر رضى الله عنه فقد ورد عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: ما سمعت عمر رضى الله عنه يقول لشىء إنى لأظنه كذا إلا كان كما يظن»[٢]، رواه البخارى .

---

(١) رواه البخارى ومسلم فى صحيحهما .

(٢) رواه البخارى وذكره النووى .

ومن الملهمين أيضًا والذين سعدوا بفضيلة الإلهام صحابي جليل هو عبد الله أبو جابر بن عبد الله الراوي عن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة فقد حدَّثَ عن أبيه قال جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما . - لما حضرت أحُدْ دعاني أبي من الليل فقال: ما أراني إلا مقتولاً في أول من يقتل من أصحاب النبي ﷺ وإني لا أترك بعدي أعز عليَّ منك بعد نفس رسول الله ﷺ وإن عليَّ دين فاقض واوص بإخوتك خيرًا فأصبحنا فكان أول قتيل ودفنت معه آخر في قبره ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع آخر فاستخرجته بعد ستة أشهر فإذ هو كيوم وضعته غير أذنه فجعلته في قبر على حدة»[1]، في ذلك الحديث يتبين لنا من كرامه الإلهام أن هذا الصحابي ألهِمَ أو حُدثَ بثلاثة أشياء : -

١ - أنه سوف يقتل في غزوة أحد .

٢ - أنه سوف يكون أول قتيل فيها .

٣ - أن ولده جابر لن يقتل في الغزوة بالرغم من أنه سوف يخوض معه المعركة ويقاتل .

السر السادس

الحكمة والفراسة وهي الذكاء

يقول الحق سبحانه : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، والحكمة شيئان جليلان كريمان هما العلم والتفقه في الدين، والحكمة في الكلام هي أن يقل لفظه ويعظم معناه

(١) رواه البخاري

والحكمة فى العمل بذل القليل وحصاد الكثير ومن فضل الحكمةأنها تحيى القلوب الميتة كما تحيا الأرض بالماء.

عن أبى أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لقمان قال لابنه يا بنى عليك بمجالسة العلماء واسمع كلام الحكماء فإن الله ليحيى القلب الميت بنور الحكمة كما يحيى الأرض الميتة بوابل المطر» رواه الطبرانى فى الكبير والترمذى بإسناد حسن. والفراسة هى المهارة فى معرفة بواطن الأمور من ظوهرها.

السر السابع

السعادة راحة البال

لأن السـعـادة تكون فى الإيمان والإيمان يكون فى القلب والقلب لا سلطان لأحد عليه إلا الله فإن المؤمن ترتفع لديه درجة الإيمان فترتفع معها درجة السعادة لأن نسبة السعادة علوها على قدر نسبة الإيمان فكلما ازداد المؤمن إيمانًا كلما ازداد سعادة وراحة بال وفطن نية.

الفصل الخامس

شروط الولى

إن كلمة ولى الله ليست مجرد كلمة سهلة أو صفة عابرة تتلفظ بها الألسنة وتتفوه بها الشفاه ولكن لها شروطها التى توجب مدلولها فإنها كلمة لا تقال لعبد من عباد الله إلا إذا قام بحقها وأدى شروطها وصبر على تحقيقها صبر العارفين بقدرها الموقنين بفضلها الساعين لنولها فإن للولى شروطاً بها تتحقق درجة الولاية كاملة ما فعلها عبد من عباد الله وقام بها إلا حُقَّ له أن ينال درجة الولاية وأن يحظى بها خالصة له ولأصبح بفضل الله ومنَّته واحدٌ من أولياء الله وخاصته فى الأرض وهذه الشروط ليست كما يزعم المغالون فى الأولياءُ والصالحين والمُطْرِين لهم إطْرَاءً يصل بهم إلى الشرك والعياذُ بالله كما يقول بعضهم فى غلوه وإطرائه فى الصالحين مثلاً إن هذا الولى قد رُفِعَ عنه التكليف وإنه يُشْفِى المرضى ويُصِيبُ بالنقمة ويفعل ويفعل والحقيقة أنه لا يستطيع أن يفعل شيئًا من محض نفسه لأنه ليس إلا عبداً مهما علت درجته ومنزلته عند الله فهو عاجز عن النفع والضر وعاجز عن القدرة على فعل الأشياء إلا بأذن الله لأنه واحد من الكل والكل فقير إلى الله فقير إلى قدرته فقير إلى عفوه فقير إلى كرمه وجوده وعطائه.

وإن كان المزعوم بالقدرة على النفع والضر والاطراء هذا ولياً حقاً فإنه قد نفع بولايته نفسه وقُبِضَ لثوابه قالوا جب الاقتداء به والتشبه بسيرته وحسن عبادته وإن كان غير ذلك سواء كان فاجراً أو مبتدعاً أو عاصياً فإن

المصيبة عظيمة والامر خطير يحتاج إلى توبة نصوحة لكل من ذهب إليه وطلب منه رجاء دفع ضر أو جلب نفع.

ومنه قول بعضهم إن هذا الولى قد وصل إلى درجة أعُطى فيها مقاليد بعض الأمور فهو يتصرف فى بعض الكونيات كيف يشاء مثل ما يتصرف الله فهو يختار ويقدر بمشيئته و يشهد الله أن هذا افتراء وضلال مبيناً لأن الله تعالى يقول: ﴿ **له مقاليد السموات الأرض** ﴾ وترى رجلاً بينهم لا يصلى ولا يصوم ولا يفعل شيئًا من أعمال الإسلام ورغم ذلك يقبلون يده و يهرعون إليه ويتبركون به فإذا سألتهم من هذا؟ ولماذا تفعلون هذا؟ لقالوا لك: إنه ولى من أولياء الله الصالحين ونحن نلتمس منه البركة فإذا قلت إنه لا يصلى ولا يصوم ولا يفعل من الإسلام شيئًا لست الاجابة فى قولهم إنه رجل قطب او يختلف عن الناس وانه وصل إلى درجة اليقين المذكورة فى كتاب الله ﴿ **واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** ﴾ وهذا الولى قد وصل إلى علم اليقين فقد رفع عنه التكليف وعفى من مؤنة العبادة ونسى هؤلاء الصنف من الناس الملتبس عليهم أن الآية يقصد باليقين فيها (الموت) وضنوا أنها درجة عالية من القرب إلى الله والعبادة ثم إنه المقصود بها والمخاطب بها رسول الله ﷺ ورغم ذلك ظل يعبد ربه إلى أن فارق الدنياولم نسمع أنه توقف عن العبادة عند درجة معينة وقال لنا: اعبدوا أنتم فانا قد وصلت وَصَلُّوا أنتم فإنى قد صليت ولم نسمع عن أحد من أصحابه من بعده فعل ذلك، ونسمع فى الولى والولاية كثيراً من القيل والقال وكثرة الجدال الذى ما أنزل الله به من سلطان.. ونحن بإذن الله تعالى فى هذا الفصل نرد على هؤلاء المتقولين المبتدعين ونرد على خرفاتهم وخزعبلاتهم بالحجة والدليل من الكتاب والسنة سائلين الله العظيم رب العرش العظيم أن يتقبل منا هذا

الجهد اليسير وأن يجعله جهداً طيباً مباركاً وعلماً نافعاً وبلسماً شافياً للقلوب الجريحة والنفوس العليلة وأن يزيد به المؤمنين إيماناً على إيمانهم إنه سبحانه هو ولى ذلك و القادر عليه وحده.

ونذكر من هذه الشروط التى يجب أن تتوفر فى أولياء الله الصالحين الذين هم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون بعض الشروط المهمة والتى بدونها تسقط الولاية وتقدح فيها.

١- الإسلام

فلا ينبغى أن نقول نال درجة الولاية لله غير المسلم لأن الولاية هى موالة الله بالطاعات والقربات والتحبب إليه بالنوافل والفضائل وغير المسلم قد هدم وسد الطريق الموصل لذلك بعدم إسلامه وعدم إسلامه يقدح فى ولايته ويبعدها أصلاً لأنه فاقد للجوهر فكيف بالفرع ومن قال غير ذلك فقد افترى إثماً مبيناً لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ**﴾. [آل عمران: ١٩]. وقوله تعالى: ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [آل عمران: ٨٥].

٢- العقل

لأن الوصول إلى درجة ومنزلة الولاية عن طريق العلم والعمل لأنها درجة علم وعمل وغير العاقل ليس له حظ فى ذلك. فكيف يتعلم؟ وكيف يعمل؟ وقد تعطل لديه جهاز الاستقبال العلمى، العقل، وتعطل أيضاً لديه جهاز الإرسال العلمى والهدف والمقصد الباعث لذلك.

٣- الإيمان بشرطية التصديق والعمل.

لان الإسلام فقط هو درجة عوام الناس ولكن الإيمان وما بعده لخواصهم عند الله عز وجل جعلنا منهم.

٤- الإخلاص بشروطه النية والعمل والتحقيق.

لأنه درجة ا لمتقين وعبادة المقربين وهو أعلى من درجة الإيمان.

٥- الإحسان

وهذه الدرجة هى درجة الصديقية ودرجة الصديقية هذه درجة صعبة المنال لا يؤتاها إلا من وفقه الله إليها من الأولياء العالمين العارفين المقربين من رب العالمين.

٦- التقوى

وهى الخوف من الله والعمل بكتابة والرضا بقضائه والاستعداد للقائه سبحانه ولأنها درجة أولى الألباب ﴿ **واتقون يا أولى الألباب** ﴾.

٧- التدرج بالنفس

من الشهوانية الأمارة إلى الروحانية اللوامة ثم الملكية ثم الربانية المطمئنة.

٨- مؤاثرة حب الله ورسوله وطاعتهما على كل المحبوبات وكل الطاعات.

لأن فى ذلك النجاح والفلاح الدنيوى والأخرى بإذن الله تعالى

٩- يأتى ذلك كله خالصاً فى القلوب بالحقيقة بكثرة ذكر الموت والاستعداد له لأنه هو الواعظ والخطب الأفظع والكأس التى طعمها أكره وأبشع. ولأنه هو مكدر اللذات ومفرق الجماعات وقاطع الأمنيات. ولأنه آت لا مفر منه وهو لا يقرع باباً ولا يهاب حجاباً ولا

يقبل بديلاً ولا يأخذ كفيلاً ولا يرحم صغيراً ولا يوقر كبيراً.

١٠- **مجالسة العلماء والصالحين والبعد عن مجالسة الفجار الفاسقين** لأنه في مجالسة الصالحين زيادة الإيمان والترقي بالروح إلى عالم الروحانيات والإيمانيات ومجالسة الفجار والفاسقين تهبط عزمها وتشتت أمرها وتنفس القلوب فتجعلها جامدة عند ذكر الله وتتعرض بها للنفاق من كثرة القيل والقال في أمور الدنيا.

١١- **الزهد في الدنيا وعدم الحرص عليها** وطلبها والسعي إليها ومؤاثرة ذلك على أوامر الله ورسوله ففي ذلك الندامة والحسرة لأن حب الدنيا رأس كل مصيبة ووراء كل ندامة و بريد كل مهلكة.

١٢- **الحمد في الضراء والشكر في السراء** لأنها صفة المؤمنين يقول النبي ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد غير المؤمن إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له وإن أصابه سراء شكر فكان خيراً له»(١).

١٣- **ذكر الله والفرار إليه.**

إذا اقترف العبد ذنباً أو عاجل دنيا ليصيبها فَرَّ إلى ربه وذكره وتاب إليه وأناب فاستغفره من ذنبه وتململ إلى ربه رجاء عفوه ومغفرته قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [آل عمران: ١٣٥]. وقوله تعالى: ﴿**فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ**﴾ [الذاريات: ٥٠].

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق برقم «٢٩٩٩».

١٤- موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه

فيوالى المؤمن إخوانه المؤمنين وبعضهم أولياء بعض ويعادى أعداءه من المشركين والملحدين والشيوعين والمبتدعين وعلى رأسهم أعدى الأعداء إبليس وجنوده عليهم لعنة الله فلا يعطهم الفرصة سانحة للإغواء والصد.

١٥- تجنب سماع ما يكره المولى سبحانه ويكرهه رسوله من لهو الحديث.

من السماع الشيطانى كالغناء والمزمار والموسيقى فإن فى سماع ذلك كله فتنة القلب وصدوده ونفاقه وكذبه وضلاله أعاذنا الله.

١٦ - التواضع لله فى أرضه لعباده وعدم التكبر والتجبر.

١٧ - حب المساكين والدنو منهم ورفض وإنكار الطبقية والحزازية.

١٨ - القول بالحق والصدق ولو كان مراً.

١٩- ديمومة ذكر الله ففيها طمأنينة القلب ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

٢٠ - الصبر وتحمل المشقات فى سبيل المحبوب الأول سبحانه وتعالى وحب رسوله ﷺ.

فهذه بفضل الله شروط يجب أن تتوافر فى الولى من أولياء الله فبها تعلو درجته وتقوى من عزيمته ويتعرف بالحقيقة على مولاه سبحانه فإذا قام بهن كانت له كرامات، فإن لأولياء الله الصالحين الذين هم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون كرامات نذكرها.

الفصل السادس

كرامات الأولياء

إن الله تبارك وتعالى أكرم من جاد وأرحم من رحم وخير من ابْتُغِى إليه المقصد فإنه لا ينسى أولياءه فهو معهم حيث كانوا يحب أن يسمع دعاءهم ويرى بكاءهم ويسمع شكواهم إليه فى دجى الليالى فيكرم وإذا أكرم فإنه يكرم بالأعظم والأفضل فإن الولى له مع مولاه حال لم تكن مع غيره فتراه وهو يخاف الزلل ويتقى الفتن يقوم إلى مولاه ليلاً طويلاً ويصوم له كثيراً وتراه وكأنه معصوم من الذنوب والآثام فيتعجب الإنسان العادى لما يراه من خُلق وحلم وصبر وجهد هذا الولى كيف يصبر على شهواته ويدفع عنه نزواته وكيف لا يَمَلُّ من طول السهر والقيام وحده وكيف لا يتعب من كثرة الصيام وهلم جرا. وكيف يجمع بين مكابدة الطاعات والعصمة من الذلات.

ولكن نسى السائل ان هناك سبب بل أسباب غالية عظيمة سَهَّرَتْ هذا الولى ليله وأحيت له قلبه وصومته تلك الأسباب نهاره وزادته إيماناً وحلماً وصبراً وجهداً وعملاً وإخلاصاً وهذه الأسباب هى ما يراه الولى من قبل مولاه من الكرامات فإنه كلما عرضت عليه كرامة زادته فى الله حباً وشوقاً وعلماً وعبادة فتابى عينيه النوم ويتجافى جنباه عن المضجع فيقوم لمولاه ذاكراً آياته شاكراً لانعمه مقدراً لهذه الكرامة التى حلت بوادى حاله مع مولاه.

وأن كل كرامة من هذه الكرامات لهى أحب إلى الولى من أولياء الله الصالحين من كنوز الدنياومن كل ملذاتها وشهواتهالأنها تجعله سعيداً حتى يغيب من شدة السعادة عن الوجود فيسبح طائراً بروحه فى عالم الإيمانيات والروحانيات فكيف ينسى أو يغفل عن الحبيب من عرف قدر الحبيب واطلع على عظمته وقدرته فى كل كرامة من كرامته التى مَنَّ بها على وليه هذا اللهم كيف؟ وأنشدوا يقولون .

إن الحمام ينوح من أثر النوى

وأنا أنوح مخافة الديان

يا واحداً فى ملكه ما له ثان

يامن إذا قلت يا مولاى لبانى

انسى فتذكرنى فى كل نائبة

فكيف انساك يا من لست تنسانى

وأنشد آخر

أنا لما علمت بان قلبى فارغ

ممن سواك ملاته بهداك

وملات قلبى منك حتى لم أدع

منى مكاناً خالياً لسواك

فجعل الله تلك الكرامات لأوليائه شحذاً لعزمهم وطمانينة لقلوبهم

وتفريجًا عن نفوسهم وترويحًا لهم عن مشاق الحياة وضيقها وعنتها وتعبها ونذكر من هذه الكرامات وهى على نوعين: كرامات فى الدنيا، وكرامات فى الآخرة. ونحن فى هذا الفصل نعنى كرامتهم الدنيوية، والأخروية فقد أخبرنا عنها المولى سبحانه فى كتابه قال تعالى: ﴿ **إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ (٤١) فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ (٤٢) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٤٣) عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ (٤٤) يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (٤٥) بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ (٤٦) لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ (٤٧) وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ** ﴾ [الصافات ٤٠ : ٤٩]. فهذه كرامات عظيمات فى الجنة. أما الكرامات فى الدنيا فنذكر منها: -

١- كرامة الحفظ

فكرامة الحفظ يكرم الله جل وعلا أولياءه وخاصة بكرامة الحفظ يحفظهم من الذلل والخطأ من كيد المكيدين ومن السوء كله، ويحفظهم حفظاً برعايتهم فيصنعهم على عينه قال تعالى لنبيه موسى: ﴿ **وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي** ﴾ [طه : ٣٩] وقال أبو الطيب البخارى فى عون البارى « ومن شروط الولى يحفظه الله بأن يحفظ جوارحه عليه ويعصمه عن مواقعة ما يكره الله من الإصغاء إلى اللهو بسمعه ومن النظر إلى ما نهى الله عنه ببصره ومن البطش فيما لا يحل له بيده ومن السعى إلى الباطل برجله فهو فى معية ربه » وذلك مصداقاً للحديث القدسى عن رب العزة « كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها » فطوبى لعبد كان فى حفاظة ربه فوالله إنه لمحفوظ ومجبور.

٢- كرامة النُصرة

كفى ولى الله كرامة وشرفًا وعزًا بان الذى يتولى نُصرته والدفاع عنه والانتقام له ليس بشرًا مسببًا ولا غنيًا ولا قويًا ولا ملكًا ولا سلطانًا إنما الذى يتولى ذلك كله هو خالق هؤلاء جميعهم ومليكهم ربهم فهو سبحانه بنفسه يتولى نُصرة وليه والدفاع عنه والانتقام له وذلك لفضل الولى عند ربه وببركة حبه وقربه له جاء فى عون البارى فى قوله تعالى فى الحديث القدسى : « من عادى لى وليًا فقد آذنته بالحرب » أى أعلنته أننى أنا المحارب له أى أعمل ما يعمله المحارب من الإيذاء ونحوه قال وفيه تهديد شديد فمن حاربه أهلكه وقال الفكهانى هو من المجاز البليغ لأن من كره من أحب الله خالف الله ومن خالف الله عانده ومن عانده أهلكه وجاء فى حديث ميمونة « فقد استحل محاربتى » - فسبحان الله - انظر أى شقى هذا الذى أوقع بنفسه إلى محاربة ملك الملوك بل أوقع بها إلى شر مهلك بسبب تجرئه على الله فى وليه بمعاداته وأى سعيد هذا الذى تولاه الله بالرعاية والنصرة والحفاظ ودفع الكيد عنه فإن من كان هذا حاله مع الله فطوبى له فقد وصل إلى درجة القرب من الله وقوله سبحانه فى الحديث القدسى : « ولئن استعاذنى لأعيذنه » أى مما يخاف .

وجاء فى حديث أبى أمامة رواه الطبرانى والبيهقى فى الذهب « إذا استنصرنى نصرته » .

٣ - كرامة إجابة الدعوة لقوله تعالى :

« ولئن سألنى لأعطينه » فإذا أولياء الله قد فازوا بكل خير ونالوا كل

قرب من الله سبحانه فإذا دعا الولى منهم ربه ومولاه فى ضُر أو جلب نفع أجابه ربه لذلك فى الحال وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «ألا أخبركم بأهل الجنة قالوا: بلى يا رسول الله قال: كل ضعيف متضاعف لو أقسم على الله لأبره» وفى هذا الحديث بيان بأن هؤلاء الصنف من الناس هم أهل الجنة وقد بدأ النبى ﷺ حديثه بألا وهى حرف استفتاح ليستدعى بها فهم وذهن المتلقى ويستدعى بها انتباهه وذلك للتشويق والترغيب الشديد لما فى الكلام من الخير والطاعة والامتثال له، والضعف المقصود به فى هذا الحديث ليس ضعف البدن وهزله ومرضه ولكن المقصود به التواضع ولين الجانب للآخرين لأن الحديث الآخر يقول فيه المصطفى ﷺ: «المؤمن القوى خيرٌ وأحبَ إلى الله من المؤمن الضعيف» وروى الحاكم فى مستدركه عن أنس - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «كم من ضعيف متضاعف ذى طمرين لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن عاذب»(١)، وأن البراء لقى زحفًا من المشركين فقال له المسلمون أقسم على ربك فقال أقسمت عليك لما منحتنا أكتافهم فمنحهم أكتافهم ثم التقوا مرة أخرى فقالوا أقسم على ربك فقال أقسمت عليك لما منحتنا أكتافهم والحقنى بنبيك ﷺ فمنحهم أكتافهم وقُتل البراء رضى الله عنه.

وهذه أمثلة أخرى لبعض أولياء الله الصالحين الذين مَنَّ الله عليهم بكرامة استجابة الدعاء ذلك من كتب الصحيح ذكر الإمام النووى وجاء فى رياض الصالحين.

عن جابر بن سمرة - رضى الله عنه - قال: شكى أهل الكوفة سعداً

---

(١) أخرجه البخارى.

«يعني ابن أبي وقاص» – رضي الله عنه – إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه واستعمل عليهم عمارًا فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلي فأرسل إليه فقال يا أبا إسحاق إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي فقال: أما أنا والله فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ لا أخرم عنها أصلي صلاة العشاء فاركد في الأوليين وأخف في الآخرتين قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق وأرسل معه رجلاً أو رجالاً دخل مسجداً لبني عبس فقام رجل منهم يقال له أسامة بن قتادة يكنى أبا سعدة فقال: أما إذا أنشدتنا فإن سعداً ما يسير بالسرية ولا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية قال سعد أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبًا قام رياء وسمعة فاطل عمره وأطل فقره وعرضه للفتن. وكان بعد ذلك إذا سُئل يقول شيخ كبير أصابتني دعوة سعد قال عبد الملك بن عمير الراوي عن جابر بن سمرة فأنا رأيته بعدُ قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر وإنه ليتعرض للجواري في الطرق فيغمزهن»(١) متفق عليه.

وعن عروة بن الزبير أن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل –رضي الله عنه– خاصمته أروى بنت أوس إلى مروان بن الحكم وادعت أنه أخذ شيئًا من أرضها فقال: سعيد ما كنت آخذاً من أرضها بعد الذي سمعت من رسول الله ﷺ قال: وما سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أخذ شبرًا من الأرض ظلمًا طوقه إلى سبع أراضين» فقال له مروان لا أسألك بينة بعد هذا قال سعيد: اللهم إن كانت كاذبة فاعم بصرها واقتلها في أرضها قال فما ماتت حتى ذهب بصرها وبينما

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ح ١٧٥٥ في الفتح) ومسلم (ح/ ١٥٨ والنووي في رياض الصالحين ص ٣٥/ ١٥١٣).

هى تمشى فى أرضها إذ وقعت فى حفرة فماتت» متفق عليه(١).

فانظر -يرحمك الله- إلى سرعة استجابة الله لدعوة الولى من أوليائه فالحديث قبل السابق يبين لنا كيف نصر عبده ووليه سعد بن أبى وقاص على المفترين عليه وأجاب دعوته فى أبى سعد الذى قام سمعة ورياء أمام الناس يشهد زوراً ويتكلم بالكذب والافتراء على ولى من أولياء الله فأطال الله عمره وأطال فقره وعرضه للفتن كما دعا عليه سعد بهؤلاء الثلاث.

والحديث السابق بين لنا أيضًا استجابة الله لدعوة وليه سعيد بن زيد فى أروى بنت أوس التى افترت عليه وادعت أنه أخذ جزءًا من أرضها ظلمًا وزورًا وكيف أن سعيدًا دعا عليها بالعمى والموت فى أرضها فلما عميت بالفعل عرفت وأيقنت أنها ما عَميتْ إلا بسبب دعوة سعد واستجابة الله له لأنه على الحق وهى كاذبة عليه فكانت إذا سُئلت فى رواية أخرى لمسلم عن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر أنه رآها عمياء تلتمس الجدُر إذا سئلت تقول أصابتنى دعوة سعيد، وتحقق الشرط الثانى من دعوته وهو الموت فى أرضها فقالوا إنها مرت على بئر فى الدار التى خاصمته فيها فوقعت فيه فكان قبرها «فهذه كرامة إجابة الدعوة لكل ولى من أولياء الله الصالحين مصداقًا لقوله: «ولئن سألنى لأُعطينه».

٤ - كرامة الخوارق (خوارق العادات)

والخارقة هى: ما شذ عن العادة وذلك أيضًا مما لا يأباه العقل ولا الشرع، وتكون الخارقة من الخوارق للولى كرامة وليست معجزة لأن

---

(١) أخرجه البخارى (٦/ ح ١٩٨ فى الفتح)، ومسلم (ح ١٣٩)، واللفظ له أحمد فى مسنده (٨٨: ١٩٠).

المعجزات انتهت بانتهاء النبوة وقد كانت في عهد الأنبياء وخاتمهم محمد ﷺ، ولكن الكرامة ثابتة للولي في الدنيا وفي الآخرة كما ذكرنا آنفًا ونحن الآن في هذا المقام نعيش مع الولي في كرامات الخوارق للعادات وهذه الخوارق تبين لهم أنهم على الصراط المستقيم وعلى الدرب القويم ونطقت لهم بلسان الحال تخبرهم عن مكانتهم من الله وحظهم من قربه وحبه ومرضاته ومع ذلك كله فهم لا يغترون بها ولا يفخرون على غيرهم ولا يتكبرون ولكن مازادتهم هذه الكرامات إلاعبادة لله وحبًا وشوقًا، ولعباده تواضعًا ولينًا ولأعدائه عداوة وحقدًا وبغضًا، ولأوليائه موالاة وحبا وإخوة.

وهذه الخوارق من الكرامات جزاءً بما صبروا لله مولاهم في دفعهم عن أنفسهم الهوى وكبح جماح شهواتهم، ومن أعمال البر والخير والدعوة إلى الله تعالى فإن الله عز وجل يمن عليهم ببعض الخوارق ليطمئن قلوبهم بالإيمان والصبر على الطاعات كما قال الخليل إبراهيم لربه: ﴿ **ربى أرنى كيف تحيى الموتى** ﴾. طلب أن يريه مولاه خارقة من خوارق العادات له فقال له المولى: ﴿ **أو لم تؤمن** ﴾ كان سؤال إبراهيم لربه ليس سؤال عن شك منه فى ذلك ولكن كان استعظامًا لقدرته ولكى يطمئن قلبه وليعلم ان الله منه قريب وانه عنه راض فقال له الله ﴿ **أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، فطمئنة القلب فى طلب خارقة أو رؤيتها شيء ليس فيه تعدى ولا ملامة فرسولنا محمد ﷺ قال فى حديث: « أن هذه القلوب تمل فروحوا عنا ساعة وساعة

فـقـد يـكرم الله وليـه بأنه مـثلاً يبـصـر ويسـمع أشـيـاءً لا يبـصـرها الناس ولايسمعونها مثل أنه قد يرى غائبًا أو يسمع بعيدًا أو يحدث بوقع أمر قبل حدوثه كما ذكرنا آنفًا وقد حدث مثل ذلك بالفعل فى عهد الرجال وعهد الإيمـان والكرامات مع أمـيـر المؤمنين عـمـر بن الخطاب وكـان قـد أرسل بالجيش سارية وكان يخطب على المنبر فكشف الله له عن مسيرهم ورأى عـدوهم قـد جاء لهم من وراء الجبل فى كـمـين لقـتلهم فلمـا رأى سارية الجيش والعدو يأتى من خلفهم دون علم أن يروهم فقال: يا سارية الجبل الجبل فسمعوا صوته فنظروا من خلفهم إلى الجبل فوجدوهم فقاتلوهم وهزموهم بإذن الله وقصوا ذلك بعد النصر بأنهم انتصروا بفضل الله وبأنهم سمعوا صوت عمر يقول يا سارية الجبل الجبل. فادركوا عدوهم من خلفهم فهزموهم.

١ - خارقة الرزق بغير حساب.

فما من ولى عارف بالله تعالى واسترزقه عند ضيق رزقًا إلا ورزقه مولاه وذلك أمـر قـد ثبت فى القـرآن الكريم وفى السنة المطهـرة: أمـا فى القـرآن الكريم فقوله تعالى: ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ** ﴾ [الطلاق: ٢] وقـوله تعـالى: ﴿ **كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ [آل عـمـران: ٣٧] وقوله تعالى: ﴿ **وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا** ﴾ [مـريـم: ٢٥-٢٦] فالله تعالى بمشيئته وقدرته البالغة يرزق من يشاء من أوليائه وخاصته الرزق بغير حساب ولا سيما رزق المأكل والمشرب أو رزق المحبة

والقرب. وممن مَنَّ الله عليهم بخارق الرزق بغير حساب خبيب بن عدى الصحابى الجليل وقد أُخِذَ أسيراً عن سرية بعثها رسول الله ﷺ فى عشرة رهط وكان معهم خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة وكان أميرهم عاصم ابن ثابت الأنصارى حتى إذا كانوا بالهواة بين عسفان ومكة وقد نفر عليهم قريب من مائة رامٍ فاحتاطوهم وأسروهم ورفض عاصم أن ينزل على ذمة كافر منهم فقتلوه وقتلوا من معه وبقى خبيب وزيد بن الدثنه فباعوهم بمكة لأهل من قتلوا ببدر وكان خبيب قد قتل الحارث يوم بدر فباعوه لبنى الحارث فلبث خبيب عندهم أسيراً (مدة كان لا يأكل من طعامهم ولا يشرب من شرابهم، فلما أجمعوا على قتله استعار من بعض بنات الحارث موسًا ليستحد بها فأعارته فدرج بنى لها وهى غافلة حتى أتاه يعنى (دخل على خبيب) فوجدته مجلسه على فخذه والموسى بيده ففزعت فزعة عرفها خبيب فقال أتخشين أن أقتله ما كنت لأفعل ذلك قالت والله ما رأيت أسيراً خيراً من خبيب فوالله لقد وجدته يومًا يأكل قطفًا من عنب فى يده وإنه لموثق بالحديث وما بمكة من ثمرة وكانت تقول أنه لرزق رزقه الله خبيبا فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه فى الحل قال لهم خبيب دعونى أصلى ركعتين: فتركوه فركع ركعتين فقال: فوالله لولا أن تحسبوا أن ما بى جزع لزدت اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدَدًا ولا تبقى منهم أحداً وقال:

ولست أبالى حيث أقتل ملسمًا ... فى أى جنب كان في الله مصرعى
وذلك في ذات الإله وإن يشـــأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع(١)

---

(١) رواه الإمام النووى فى الأربعين عن الدارقطنى.

فخارقة الرزق بغير حساب تأتى كما رأينا للمضطر والمتوكل على الله سبحانه لأن فى التوكل الرزق لقول النبى ﷺ عن عمر رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصًا وتروح بطانًا(١) رواه الترمذى وقال حديث حسن وقال شارح النووى فى شرحه للحديث: «ومعناه تذهب أول النهار خماصًا أى ضامرة البطون من الجوع وترجع آخر النهار بطانًا أى ممتلئة البطون». ويقول الحق سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ٩٦].

٢- خارقة المخرج من كل كرب وضيق بترتيب وتسبيب من الله سبحانه لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾ [الطلاق: ٢] فلو أن المؤمن الولى من أولياء الله كاده كل شىء وكادته السماوات والأرض وضيقوا عليه كل تضييق ثم اتقى الله جعل الله له من كل ضيق مخرجًا فلو أدخلوه فى بطن الجبال أو ألقوه فى قاع البحار ولو وضع فوق السحاب أو حبسوه فى قمقم وغلوه بالأغلال وظنوا أنهم قادرين عليه واتق مولاه لجعل له من بعد كل هذا الكبد ومن بعد كل ذلك التضييق الفرج والعُلىَ الذى يجعل كل الخلائق تتعجب وتذهل له فسبحان الله القدير وذلك بدليل الآية السالف ذكرها.

---

(١) أخرجه الترمذى (٤/ ح٢٣٤٤) وابن ماجه (٢ ح ٤١٦٤) والحاكم فى المستدرك (٤/ ٣١٨) فقال حديث حسن صحيح الاسناد.

٥- وأخيراً كرامة حسن الخاتمة.

وهى الموت على الإسلام وعلى كلمة التوحيد «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وهى أفضل كرامة وأغلى مِنَّة مَنَّ الله على ولي يمنها عليه بان يحسن له خاتمته فيلهمه سبحانه فى أواخر عمره وقبل موته بالعمل الصالح الذى يقبضه عليه سواءً كان عمله جهاداً فى سبيل الله أو علماً أو يقبضه ساجداً أو راكعاً أو حاجاً أو معتمراً أو فاعلاً لنوع من أنواع البر الكثيرة.

أو يقبضه مشتاقاً هائماً فى حب مولاه ولقائه وحسن مجيئه فليس على ظهر الأرض أسعد ولا أفرح ممن حسن الله له خاتمته وقبضه على عمل صالح لان بها الفوز العظيم والنجاة من العذاب الأليم ومن نار الجحيم.

وإنه لأمقت شيء على العبد وأخطره وأقبحه وأتعسه ان يموت مفتوناً عن الإسلام عاصياً لرب الأنام مخالفاً لأمره مضيعاً لشرعه ومخالفاً لسنة الحبيب محمد ﷺ ومضيعاً لسنته ومبتدعاً وظالماً لنفسه والعياذ بالله فإن حسن الخاتمة هى الموت على الإسلام وهى أكرم شيء يتمناه ويطلبه ويرجوه من الله كل الأنبياء ومن بعدهم الصالحون الأولياء فإن شغلهم الشاغل هذه النقطة، وهى كيف يموتون وبماذا للقاء الحبيب يستعدون؟ وبماذا لمحبته وعظمته يقومون؟ فكلهم كانوا يطلبون الموت على الإسلام والتوحيد فقد أخبر المولى سبحانه فى كتابه أن الأنبياء عرفوا هذه الكرامة -الموت على الإسلام- فأخذوا يوصون بها ذرياتهم من بعدهم وأقوامهم فهذا خليل الله إبراهيم يوصى بها كما جاء فى القرآن قال تعالى على لسانه: ﴿ **وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا**

﴿ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٢].

فهذه هى أغلى وصية وصاها نبى الله وخليله إبراهيم لبنيه من بعده ألا يموتوا إلا على الإسلام لأنه كان يعلم علم اليقين أن الموت على الإسلام هو حسن الختام وهو أكرم شيء للعبد وأنفعه. ومن بعده وصى بها أيضًا يعقوب عليه السلام قال تعالى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٢] ووصى الله بها عباده فقال تعالى: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٣].

وهى صبغة الله التى صبغ عباده عليها وفطرهم عليها ليس لهم سواها ولا يرضى لهم سواها وكلمة صبغة الله أى صار هذا الإيمان بالإله الواحد (الله) واعتناق الدين الحنيف لها ميزة حتى صارت كالصبغة فى الثوب وليس هناك أحد أحسن من الله صبغة أى دينًا قال تعالى: ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٨] وهذا نبى الله يوسف من بعدهم أيقن وعرف قدر هذه الكرامة – كرامة الموت على الإسلام وحسن الختام – فلم يَغْتر بنبوته ولم يغره حسنه وملكه ولا علمه وإنما كان يخاف على قلبه الفتنة، ولم يغره حسنه وملكه ولا علمه وإنما كان يخاف على قلبه الفتنة والتحول عن نعمة وكرامة حسن الختام فكان دأبه مطلبها والسعى إليها وكان يسأل ذلك ربه قال تعالى على لسانه: ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي

مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف : ١٠١] وكان دائمًا كثيرًا ما يسأل ربه ذلك وقد روى عن النبى ﷺ عن(١) معاذ -رضى الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ : « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة »(٢) رواه مسلم وأنشد الصحابى الجليل خبيب بنى عدى يقول:

ولست أبالى حيث أقتل مسلمًا ... فى أى جنب كان فى الله مصرعى

وذلك فى ذات الإله وإن يشا ... يبارك على أوصال شلو ممزع

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك وأبو داود وقال صحيح الإسناد.

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه.

خــاتمـــة

الحمد لله الذى تتم بنعمه الصالحات ولا يخفى عليه شىء من أمر العباد إله واحد فى ملكه واحد فى ذاته واحد فى أسمائه واحد فى صفاته واحد فى خلقه لا إله غيره سبحانه وتعالى علواً كبيراً .

عظيم فى خلقه عظيم فى ملكه عظيم فى قدرته عظيم فى تدبيره عظيم فى كل شأنه سبحانه لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا يصفه الواصفون ولا تغيره الحوادث ولا يخشى الدوائر يعلم مثاقيل الجبال ومكاييل البحار وعدد قطر الامطار وعدد ورق الأشجار وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار ولا توارى عنه سماء اسماءاً ولا أرضُ « أرضًا ولا بحر ما فى قعره ولا جبلٍ ما فى وعره خلق الخلق بعلمه وقدر لهم اقداراً وضرب لهم أجالاً وعلم ما هم عاملون به قبل أن يخلقهم فأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته وكل شىء يجرى بتقديره ومشيئته ولا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم فما شاء لهم كان وما لم يشأ لم يكن تباركت وتعاليت يا ربنا سبحانك لا نحصى ثناءاً عليك أنت كما أثنيت على نفسك لا راداً لقضائك ولا معقب لحكمك ولا إله غيرك .

ربى إنى أتوجه إليك أستغفرك وأتوب إليك أستغفرك على هذا الجهد المقصود به وجهك الكريم فإنك تحب أن تُسْتَغْفَر على كل شىء على الطاعة وعلى المعصية كما تحب أن تُحْمَد على كل شىء على السراء

والضرا فإنى أحمدك وأستغفرك، أحمدك على ما وفقتنى إليه فى إتمام هذا الكتاب وأستغفرك على تقصيرى فيه وفى نفسى فإنك ولى فى الدنيا والآخرة تعلم سرى وعلنى القادر علىَّ وأنت الآخذ بناصيتى وإليك منقلبى ومرجعى ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٦٠].

تم الكتاب

تم الكتـــاب وربنا مـحـمـود ولـه المكارم والعـلا والجـود

وعلى النبى محـمـد صلواته ما ناح قـمـرى وأورق

اللهم اغفر لى ولوالدى اللهم ارحمهما كما ربيانى صغيراً اللهم أطل فى أعمارهما وحَسِّن أعمالهما وحسن خواتيمهما واجعلنى وإياهما من ورثة جنة النعيم وورثة الفردوس الأعلى وامنن علينا بجوار الحبيب محمد ﷺ.

اللهم اغفر لى ولوالدى ولجميع المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا وتقبل دعاء وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

خلف محمد عبد الرحيم (الغيمى)

مركز الفتح قرية الفيما شارع الخلفاء محافظة أسيوط

الفهـــرس

الباب الأول

الولاية ثلاثة أنواع محمودة ومذمومة وولاية إبتلاء

الباب الثانى

الولى